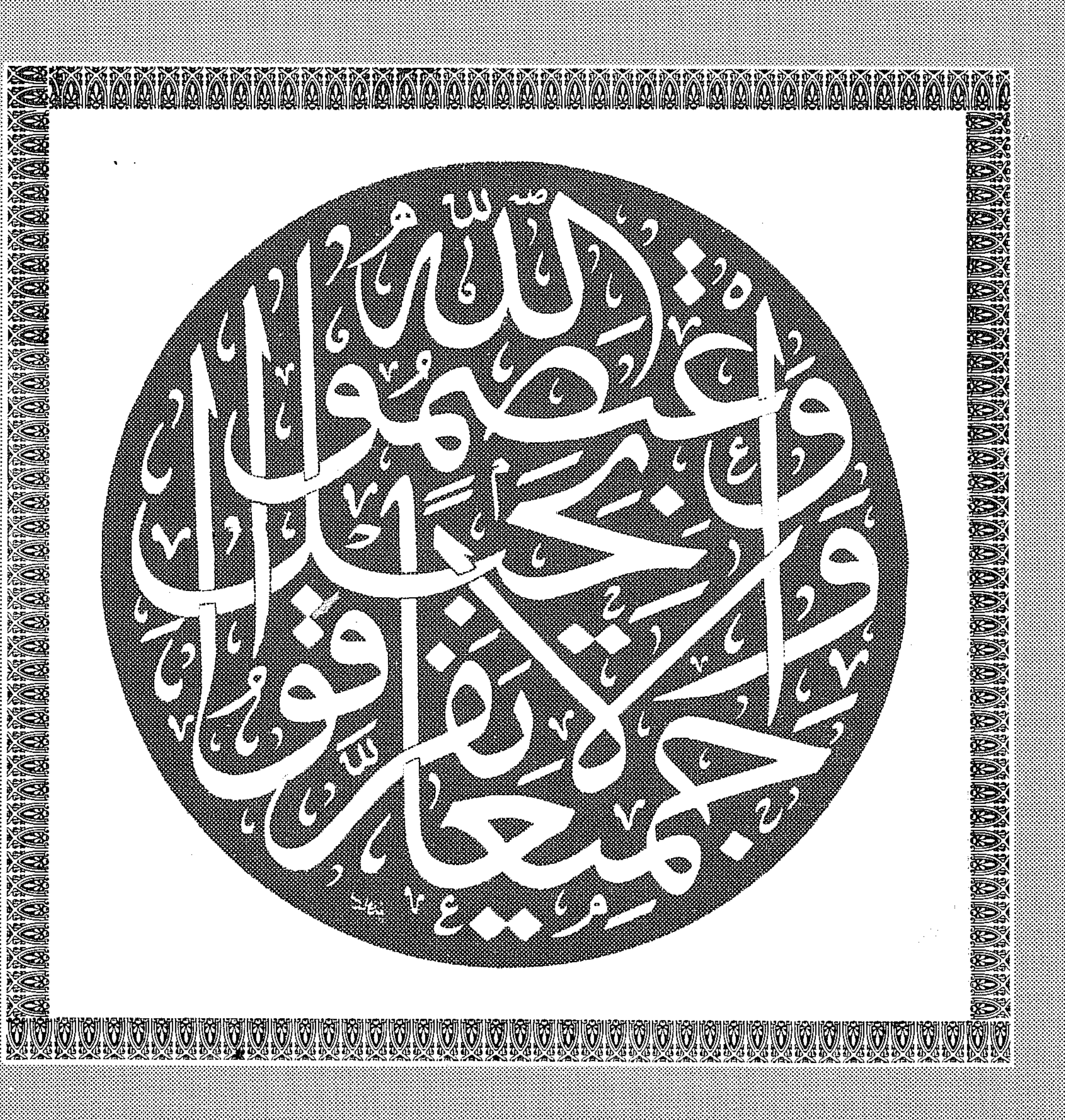
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٥ ● ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ● سبتمبر ١٩٨٢ م

هديتك مع العدد : مجلة براعم الإيمان


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٥ ● ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ● سبتمبر ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمـن ●

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الاسلام والتربية النفسية

حاجة الامة الى التربية النفسية تفوق حاجتها الى قوة الابدان وكثرة الاموال ، فان قوة الأبدان من غير صحة نفسية قوة حيوانية لا تحقق خيرا ولا تدفع سوءا ، وكثرة الاموال لا تؤدي اثرا طيبا الا اذا كانت النفوس مهيأة لاستخدامها في البناء والتعمير ، واقامة العدالة الاجتماعية بين الناس ، واعداد القوة للأعداء .

ولا توجد اصول تقوم عليها التربية النفسية السليمة سوى الأصول التي اتى بها الاسلام ، فقد اقام امر الامة على الايمان بالله وطاعته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)

ودعا الى التآخي والتواد والتعاون على البر والتقوى . قال تعالى :
(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) ..

واهتم بتربيتها على الشهامة والعزة والشدة على الاعداء ، والاستعداد الدائم للمفاجآت حتى تظل مهيبة الجانب ، لا يستطيع العدو ان ينال منها او يحط من كرامتها . قال تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** ..

كما اهتم بتربيتها على الصبر والمصابرة خلال المحن والخطوب فالله سبحانه يمتحن ايمان عباده بالبلاء صقلا لنفوسهم ، وتركيزا لوجودهم واظهارا للصادقين من الكاذبين .
قال تعالى : **(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)** .

وقال : **(لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)** .
وقال : **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)** .

وامرها بالعدل حتى لا تضطرب شئونها ، وبالوفاء لمبادىء دينها حتى تسعد في حياتها .

وهذا الطريق الذي رسمه الاسلام لتربية الامة التي تؤمن به يجعل منها بنيانا واحدا ، متماسك الاجزاء ثابت الاركان ، قوي الدعائم ، فلا يستطيع اعداؤها ان يقتحموا حماها ، ولا ان ينالوا من عزتها وكرامتها .. ولذلك كان موطن اهتمام اعدائها دائما ان يعملوا على توهين هذا البناء بتفريق كلمة المسلمين ، واثارة الضغائن بينهم ، وبث روح الحقد والحسد في نفوسهم !!
والقرآن الكريم نبه على هذا وحذر من الوقوع فيه . قال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد**

إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

وقد نزلت هذه الآيات عقب فعلة منكرة قام بها يهودي خبيث يدعى (شاس بن قيس) فقد مضى على نفر من الانصار وهم متآلفون متحابون بعد ان نزع الاسلام ما كان في نفوسهم من احقاد وعداوات فغاظه ذلك ، واخذ يستدرجهم شيئا فشيئا الى ما كان بينهم من احداث في الجاهلية ، حتى أثار نفوسهم وتنادوا : السلاح السلاح !! وكادت كارثة الحرب ان تنزل بهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض اليهم يقول : (ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام واكرمكم به واستنقذكم من الكفر والف بين قلوبكم) ؟

ففاء القوم الى رشدهم ، وعرفوا انها كيد عدوهم ، فعانق بعضهم بعضا باكين ، وانصرفوا مع رسول الله نادمين طائعين ، ونزل الوحي بالآيات السابقة لتكون دستور المسلمين الى يوم الدين .

وسياق تلك الآيات وسبب نزولها يرجحان ان المعنى : ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد وحدتكم متفرقين وكيف تتفرقون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض) اي لا ترجعوا بعدي مختلفين يضرب بعضكم وجوه بعض .

وعزوف المسلمين في هذا العصر عن هداية الله أدى بهم الى أن اختلفوا في تعاليم الدين خلاف جدل ومراء ، لا خلاف بحث واستهداء . فخفيت عليهم حقيقته ، وضاعت من بين ايديهم هدايته ، واصبحوا مسلمين بالأسماء والمواطن لا بالقلوب والأعمال .. والى ان اختلفوا في السياسة ، شيعا واحزابا . فذهبت ريحهم ، وتمكن العدو في بلادهم ، وضرب بعضهم

ببعض ، ووقف منهم ساخرا يرقب ـ في لهفة وشوق ـ نهايتهم !!..

وبهذا كفوه أمرهم ، وأراحوه من عناء جهادهم ، وفعلوا بأنفسهم ما لم يفعل بهم الخصوم .. قللوا العدد ، وأوهنوا الجلد ، وأصبحت دنياهم ذلة وخصاما ، وآخرتهم تبعات جساما !!

فالى متى والزمن يدور ويجري .. والفرص تسنح وتمضي ؟؟

ألم يأن لنا أن نعتصم بالله فنستمسك بديننا الحنيف ، ونخرج حب الكفار والمنافقين من قلوبنا ليسلم لنا وطننا ومقدساتنا ؟

ألم يأن لنا أن نتخلى عن حب الظهور ورذيلة الحسد لنشق طريقنا الى العزة في تواضع لله وتراحم فيما بيننا ، وايثار يشملنا خيره وتعمنا بركته ؟

لقد آن الأوان لأن نأخذ العبرة من تاريخنا ، ونسير على طريق النور والعدل والوحدة على الحق .. طريق الله الذي له ما في السموات وما في الارض واليه تصير الامور .

ان وحي الله ـ من كتاب وسنة ـ يهدينا سواء السبيل ويخرجنا من الظلمات الى النور (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين.يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) .

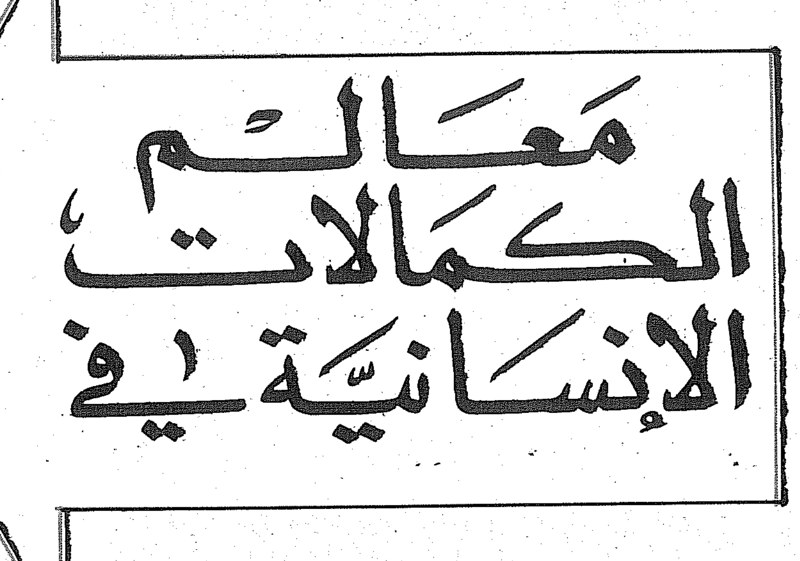
وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه بيان واضح لطريق الاعتصام بالله ، وطريق التعامل فيما بيننا ، وطريق التعامل مع أعدائنا ، قال تعالى : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود**) ..

والله تعالى ينصر من ينصر دينه وهو القوي الغالب على أمره : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) .

نسأل الله ان يهدينا سواء السبيل .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



(١)

خلق الله البشر من تراب ، ونفخ فيهم من روحه قبسا به كانت حياتهم ، وعن طريقه استقرت في أعماقهم تطلعات علوية تنزع بهم نحو الكمال في مقاومة مستمرة للخلود والى عنصر الأرض الذي خلقوا منه .

وعلى مر العصور لم تنطفىء لهذه التطلعات جذوة ، وإنما كانت نارها تخبو فترة وتتوهج فترات ، وكانت الرسالات السماوية بفضل الله ورحمته بعباده تلبي حاجة البشر في تطلعاتهم ، فتدعوهم الى هدى الله في أسمى صور الكمال ، وتبين لهم الطريق الصحيح الى سلوكه ، فمنهم من لا يغمط نزعة الكمال عنده حقها ، فيفرح بهذا الهدى ويتبع الرسل ، ومنهم من كان يخلد



للدكتور / محمد السيد جبريل

الى الأرض ويتبع هواه .

وإذا كان هذا دأب البشر في الأزمان الماضية ، فإنهم في هذا العصر أشد احتياجا الى إشعال هذه الجذوة في قلوبهم وتحريك هذه النزعة في نفوسهم ، فلقد قطعت الحضارة المادية شوطا بعيدا ، ولكنها خلفت وراءها تراكمات هائلة من شهوات الحس بكل ألوانه وصوره ، حالت بشدة دون مواصلة الانسان تطلعاته السامية ، وتركته لا يلقى اهتماما إلا إلى تحقيق متطلبات وتحصيل ما يعينه على ذلك من وسائل مهما كان لونها أو طبيعتها .

ولكن التركيبة الانسانية نفسها لم يسعدها هذا الكم الهائل من وسائل الاشباع الجسدي المندفع ، فالنفحة الالهية في الانسانية بطبيعتها الدافعة الى السمو ، لا ينفصل أثرها عن الجسد الانساني طالما بقيت فيه حياة ، ولهذا السبب نفسه ، وفي خضم ما حققه الانسان في مجال المادة جأرت الأصوات بالشكوى من جراء ما حاق بالنفوس من تخريب وبالقيم من

تصدع وانهيار وبالعلاقات الاجتماعية من تمزق وبالأرض عموما من شرور ومفاسد ومظالم أغرقتها في طوفان من الدم .

ـ ٢ ـ

ولا يحتاج العقل الى عناء ليدرك أن الكمال الانساني الذي ينزع اليه البشر ـ والذي نعنيه في هذا البحث ـ ليس ضربا من الترف الذي يمكن الاستغناء عنه والحياة بدونه ، لما ينبىء عنه الاسم من زيادة عن الحد اللازم ، ولكنه الكمال الذي يقابل النقص وعدم التمام فيما يعتقده الانسان أو يقوله أو يعمله ، وعليه فإن معرفة حقيقته وبيان سبيله تمهيدا لاستئناف إشاعته ونشره أمر لا مفر منه ولا يغني عنه علاج آخر .

وربما فهم من السطور السابقة أن تحقيق هذا الكمال لا يتم إلا على حساب الجانب المادي وأنه لكي يرقى الانسان لا بد له من أن ينحي الأمور المادية جانبا فلا يجهد نفسه في سبيل التقدم في مجالها .

ونبادر فنقول : إن شيئا من ذلك ليس مقصودا ، ولكن المقصود هو جعل هذه الحضارة المادية مظهرا من مظاهر الكمال ، وذلك لن يحدث الا بإقامة صرحها على أساس متين من القيم التي تراعى متطلبات النفس كما تراعى متطلبات الجسد ، وتجعل كل هدفها اسعاد البشر جميعا ونشر السلام والمحبة والرخاء والتعاون بينهم ، وبعبارة أخرى : فإنه لن تسلم للأنسان حياة نظيفة ، ولن يخلص له استمتاع بأي لون من التقدم الا إذا وضحت معالم الكمال في أرجاء حياته كلها : اعتقادا صحيحا ، وتعاملا طيبا ، ونفسا صافية .

ـ ٣ ـ

إن ذلك توازن جوهري لا تستقيم الحياة بدونه ، وواضح من نمط الحياة وسيرها الآن أن هذا التوازن مفقود فما هو السبيل إلى إعادته ؟

الحق أن مهمة إعادة هذا التوازن إلى حياة البشر لا تقع على عاتق أحد كما تقع على عاتق المسلمين ، فهم وحدهم الذين يستطيعون ـ بما عندهم من قرآن استحفظوا عليه وسنة أمروا باتباعها ـ أن يعيدوا هذا التوازن في أسمى صوره ، وأن يحققوا الكمال الانساني بأمثل أسلوب لو أنهم قدموا منهج الاسلام : علما واضحا ، وسلوكا طيبا ، وكذلك تطبيقا دائما ، وما ذلك الأمر ببعيد .

فلقد قرر القرآن الكريم أسس الحياة الصحيحة ، ولفت الانظار الى الأقوم والأفضل في كل مجالاتها ، ووجه الاهتمام الاكبر الى محورها الأساسي

وهو الانسان الذي خلقه الله واستخلفه في الأرض ليعمرها بالخير والنماء والحب والسلام ، فرسم له صورة تبدو فيها معالم الشخصية الانسانية كما أرادها الخالق سبحانه أن تكون .

ولأهمية هذه الصورة الانسانية بمعالمها الواضحة فقد أبرزها القرآن ، كاملة في آية واحدة من أشمل آياته جمعت أطراف الكمال الانساني في كل المجالات ، وجعل البر عنوانا لها وسماها المفسرون باسمه .

يقول الله تبارك وتعالى :(**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**) البقرة / ١٧٧

○ **بين يدي الآية :**

المشهور في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت ردا على أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكانوا قد أكثروا القول بعد تحويل القبلة من بيت المقدس في الشام الى البيت الحرام في مكة استجابة من الله تعالى لرسوله الكريم الذي مكث بعد قدومه المدينة يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهرا ـ كما ذكر البخارى ـ وهو يتطلع الى الاتجاه الى البيت الحرام في مكة ، وعلم الله تعالى ذلك منه فلبى هذا الشوق الكريم عنده في قوله سبحانه : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**)البقرة / ١٤٤

والمراد أنه ليس لأي فريق أن يعتقد حقية ما هو عليه في مواجهة تشريع جديد من الله تعالى ، فإن اليهود كانت تصلي ـ قبل المغرب ـ الى بيت المقدس من أفق مكة ، والنصارى ـ قبل المشرق ـ وادعت كل طائفة حصر البر على قبلتها ، ولما حولت القبلة كثر الخوض والتشكيك في هذا التحويل ، والمقصود من ورائه التشكيك فيما عليه المسلمون من دين بصفة عامة فنزلت الآية للرد عليهم في هذا المجال .

على أن الواحدى وغيره قد ذكر سببا آخر لنزول الآية ، فقد روى عن قتادة قوله « ذكر لنا أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله تعالى هذه الآية (**ليس البر أن تولوا وجوهكم ـ الآية**) قال : وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فأنزل الله تعالى هذه الآية » أسباب النزول ص ٣٣

ونحن نميل الى الأخذ بالسبب الأول ، لا لكونه مشهورا فحسب ، ولكن لأن جو الآيات السابقة كلها وموضوع الحديث فيها يؤكد رجحانه ، ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نأخذ من مطلع الآية منهجا يصحح للبشر كثيرا من مفاهيمهم فكرا وسلوكا .

وبيان ذلك : أن طالب الحق أو قاصد الخير يجب ان تنصرف همته الى تحصيل بغيته من الفضائل والكمالات إذا اتضح طريقها ، لا أن يتوقف ليجادل في أمر لا يملك الحكم فيه بصواب أو خطأ ، فتوجيه الخلق الى طرائق العبادة ووجهتها أمر لا يملكه بشر وإنما هو من اختصاص المعبود وحده وهو الله عز وجل ، فلله سبحانه أن يتعبد الخلق بما شاء وكيف شاء ، وأن يوجههم في ذلك ان شاء ، وفي مقابلة ما أثاره أهل الكتاب من جدل عند تحويل القبلة يبين الله تعالى لهم من خلال هذه الآية : ان البر أو الايمان أو الخير ليس في التوجه الى هذا المكان أو ذاك ولكنه تحقيق أركان العقيدة الصحيحة في المعبود ، أما التوجه فهو أمر الهي محض فالمشرق والمغرب وكل الجهات والأمكنة والأزمنة ملك لله وحده ، وهي تستوي كلها بالنسبة له سبحانه في توجيه العباد اليها ، يقول تعالى : (**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم**)البقرة / ١١٥ ولذلك كان الجدل في هذه القضية فوق أنه منازعة لله تعالى في اختصاصه بالتشريع ـ مضيعة للوقت وإهدار للأهم في سبيل التمسك بما ليس مهما . إن هداية الآية في هذا الصدد لا تقتصر على سبب نزولها فقط ، وينبغي على المتعلم منها أن يفهم ذلك فينقل هذه القاعدة من دائرة السبب الخاص ليطبقها في كل مجالات الحياة ، ويرسى لنفسه ولغيره مبدأ الاهتمام بالأنفع والأجدى وتحقيق ما افترض عليه ، ويبعد نفسه عن طرائق الجدل وضروب السفسطة في أمر ليس من شأنه من جهة ، ولا يعود عليه بالنفع من جهة أخرى .

ـ ٤ ـ

والآية بعد ذلك تبرز الكمالات الانسانية في جوانب ثلاثة تنتظم حياة الانسان كلها فيما يتعلق بعلاقته مع ربه ، وفيما يتعلق بوضعه في مجتمعه وعلاقته بأفراد هذا المجتمع ، وفيما يتعلق ببناء شخصيته وإصلاح نفسه وشأنه .

○ إنها أولا تبرز هذه الكمالات في جانب : صحة الاعتقاد .

وهي تتمثل في تحقيق خمسة أمور مكانها في الآية قوله تعالى :(**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**)

وهي أصول الايمان الخمسة ، والحديث عن الايمان بهذه الأصول ينبغي ألا يسير في نمط تقليدي يهدف في النهاية الى تقريرها وإقامة الأدلة عليها على

طريقة علم الكلام ، وإنما ينبغي أن يرتبط في تقريرها بإصلاح واقع الحياة ، وأن يجعلها هدفا يقصد في كل ما يأتي الانسان وما يذر من واقع الحياة اليومية .

إن أول هذه الأصول هو الايمان بالله تعالى .

والايمان بالله تعالى ـ في بساطة ودون تعقيد ـ يعني أن يعتقد الانسان ـ على سبيل اليقين والقطع ـ أن لهذا الكون ربا خالقا والها معبودا ، وأن ينسب لهذا الرب الخالق والاله المعبود كل صفات الكمال ، وينزهه عن كل نقص ومشابهة لخلقه ، وهذا هو جوهر عقيدة الألوهية في الديانة الاسلامية التي هي في الحقيقة جوهر كل دعوة جاء بها الأنبياء والرسل دون تحريف ولا تغيير .

إن أصول الايمان في العقيدة الاسلامية ـ خاصة تلك التي يطلب من الانسان أن يؤمن بها دون أن يرى معظمها ـ تمتاز بالبساطة وعدم التعقيد ، فالله في هذه العقيدة : واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله . والدعوة الى قضية الألوهية في القرآن الكريم تقوم على أساس اعتبار قضية وجود الله تعالى قضية محسومة لا محل للجدل فيها ، وإنما توفرت أغراض الأدلة التي وردت فيه على إثبات الوحدانية وليست الوحدانية مطلقا بل وحدانية الألوهية أي اعتقاد أنه لا ينبغي أن يعبد مع الله تعالى أحد سواه .

لقد كان العرب عند نزول القرآن يعترفون بوحدانية الله في ربوبيته وخلقه للكون وحكى القرآن ذلك عنهم في أكثر من موضع ، يقول الله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) ٦١/ العنكبوت :(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون)العنكبوت/٦٣ ويقول سبحانه :(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) الزمر / ٣٨

وبالرغم من ذلك لم يعتبرهم القرآن مؤمنين ، ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم بهذا النوع من التوحيد وإنما دعاهم الى التوحيد الكامل لله ربا خالقا وإلها معبودا ، والى ذلك يشير قول الله تعالى :(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف / ١١٠وإليه يشير أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، قال : أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : ألا يعذبهم » رواه البخاري

والتوحيد بهذه الصورة الكاملة التي جاء بها الاسلام يضع الانسان في إطار العبودية الصحيحة لله عز وجل ويجعل مفاهيمه كلها في ممارسته لحياته تسير وفق هذا المبدأ ، فكل عمل يقوم به سوف يكون ابتغاء وجه الله ، لا عبادة الا لله ، ولا خوف الا من الله ، ولا تعظيم الا لله ، وبهذه العقيدة القوية تتغلغل جذور العزة في نفس المؤمن فلا ينافق أحدا لأنه يعلم أن النافع والضار هو الله ، ولا يغش ولا يخون لأنه يعلم ان الله مطلع عليه ، ولا يقصر في واجب لأنه يعلم أن العمل عبادة يؤجر عليها ، وبالجملة فإن الايمان الحقيقي بالله الواحد الخالق المعبود يقيم موازين الحياة على خط مستقيم لا تميل معه ولا تحيد .

● الأصل الثاني من أصول العقيدة : هو الايمان باليوم الآخر .

وقد جاء ترتيب الايمان بهذا الأصل عقب الايمان بالله تعالى في معظم آيات القرآن إشارة الى الايمان بالمبدأ الذي لا شيء قبله ، والمعاد الذي لا موت بعده ، فالايمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الذي صدر عنه هذا الكون ، والايمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي اليه هذا الوجود ، وما ينتظر الجميع فيه من حساب وجزاء نعيما للمؤمنين وعذابا للكافرين .

إن الايمان باليوم الآخر ـ إلى جانب أنه ركن أساسي لا يتم الايمان بدونه ـ هو ضرورة لازمة لا تستقيم الحياة بدونه أيضا .

إنه ضرورة يقتضيها تحقيق العدل الذي قد لا يتم في الدنيا بصورة قاطعة في مجال الصراع بين الخير والشر ، وإظهار بطلان ما عليه أنصار الالحاد ، وقد نص القرآن على ذلك : (**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين**) النحل / ٣٨ و ٣٩

وهو ضرورة تقتضيها الحكمة الالهية من خلق الانسان الذي خلق لعبادة الله تعالى وعمارة الأرض ، وسوف يحاسب على أداء هذا التكليف ، ولقد خلق الله تعالى في الانسان خاصية التفكير والنظر في عواقب الأمور ليطلعه على ما أعده له وراء هذه الحياة الفانية من الدار الآخرة الباقية ، ولم يكله الى هذه الخاصية وحدها ، ولكنه ألح وصرح له بأنه لم يخلقه عبثا ، يقول تعالى مقررا هذه الحقيقة :(**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم**) المؤمنون / ١١٥ و ١١٦

وهو أيضا ضرورة لتربية الوازع الوجداني في الانسان ، لأن حياة البشر تتأرجح بهم بين الخير والشر ، ومشكلة السلوك الانساني منذ الأزل تتمثل في إيجاد طريقة لحمل البشر على طريق الخير والصواب وابعادهم عن طريق الشر والخطأ ، وعلى طول مسيرة التاريخ الانساني وضعت للجماعات قوانين يعيش الناس بمقتضاها ، ولكن هذه القوانين لم تخل من كثير من النقص

والقصور في أية مرحلة من المراحل ، لأنها تفتقر الى الوازع الداخلي الذي يدفع الى الخير ويحول دون الشر ، وهذا الوازع لا يربيه شيء سوى الايمان باليوم الآخر ، وعندئذ سوف تكون حراسة هذا الوازع الوجداني للانسان مستمرة بالليل والنهار ، في السر والعلن ، لأن الخشية عندئذ تكون من الله المطلع على كل خفايا الانسان والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهذه الحراسة المستمرة التي تعين الانسان على سلوك سبيل الخير دائما تؤتى ثمارها لأنها واءمت طبيعة الانسان الذي يطمع في النعيم ويرغب فيه ، ويخشى العذاب ويرهبه .. وأي عذاب .. عذاب الآخرة الشديد الذي لا ينجو منه آثم ،وبهذا يدخل الايمان بالآخرة واقع الحياة ليحيلها الى مثالية في العمل والسلوك ، وبدونه كانت تبدو بعيدة المنال .

● الأصل الثالث : هو الايمان بملائكة الله .

وأنهم خلق لله ذوات طبيعة مغايرة لطبيعة الانسان ، تتم أعمالهم كلها في اطار قوله تعالى :(**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**)التحريم / ٦

أما هذه الأعمال فهي كما بينها القرآن ووضحتها السنة النبوية الشريفة تتمثل ـ على الاجمال ـ في :

○ التسبيح والخضوع التام لله سبحانه :(**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**)الأعراف / ٢٠٦

○ والنزول بالوحي :(**قل نزله روح القدس من ربك بالحق**)النحل / ١٠٢

○ وتدبير أمور الكون من إرسال الرياح ، وسوق السحاب ، وإنزال المطر ، وانبات النبات ونحو ذلك من الأعمال .

○ وتسجيل أعمال الانسان خيرها وشرها :(**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**) ق / ١٨:(**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**)الانفطار / ١٠ ـ ١٢

○ وصلاتهم على المؤمنين :(**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما**)الاحزاب / ٤٣

○ وحفظ الانسان بالليل والنهار ، وحضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم :« فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» رواه البخاري

○ ونزولهم عند قراءة القرآن ، واستماعهم اليه ، وتأمينهم مع المصلين ، واعلانهم عمن يحبه الله تعالى وعمن يبغضه ، وتثبيتهم المؤمنين ، وقبض الأرواح ، وتحية الطيبين وبشارتهم بالجنة .

فمن صميم الايمان الاعتقاد بأن ذلك كله حق لا ريب فيه ، وان لم يره الانسان فانه يدرك أثره ، وهم بهذا يلازمون الانسان في كل لحظاته ،

ومراعاتهم واكرام صحبتهم واجبة ، وهو ما يجعل واقع الانسان قائما على أساس من الخشية لله والتفكير في العمل قبل فعله ، وتحرى الخير في كل عمل حتى لا يسجل عليه شرا يحيل صحائفه الى سواد كأنها قدت من ظلمة والعياذ بالله .

● الأصل الرابع : الايمان بالكتب السماوية وأنها من عند الله أنزلها على رسله .

والذي يؤمن بالقرآن هو في الحقيقة مؤمن بها جميعا لأن الله تعالى قال عنه :(**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله**)المائدة / ٤٨

فتعاليم القرآن هي كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله تعالى لها البقاء والخلود ، فصانها من التحريف والتبديل .

ويبين العلامة الألوسي أن لفظ الكتاب يشمل جميع الكتب ، وإذا أريد القرآن صح المعنى لأنه يهيمن عليها ، فيقول ما نصه : « والكتاب » أي جنسه فيشمل جميع الكتب الالهية لأن البر : الايمان بجميعها وهو الظاهر الموافق لقرينه ، ولما ورد في الحديث : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » أو القرآن لأنه المقصود بالدعوة والكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا ، والايمان به إيمان بجميع الكتب لكونه مصدقا لما بين يديه » روح المعاني حـ ٢ ص ٤٥

الأصل الخامس : هو الايمان بجميع النبيين المرسلين .

وأن الله تعالى أرسلهم إلى عباده يدعونهم الى عبادته سبحانه ، وإقامة دينه ، وتأدية فرائضه ، وأنهم قد بلغوا رسالاتهم ، وأدوا أمانتهم ، ولم يفرطوا في شيء منها ، وكانوا قدوة لأقوالهم فيما دعوا اليه من عبادات وأخلاق وعقائد وشرائع ، وأنهم جميعا اتفقوا في الدعوة الى هذه الاصول الخمسة السابقة .

يقول الله تعالى : (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)النحل / ٣٦

ويقول عز وجل :(**إنا أرسلناك بالحق بشيرا و نذيرا وإن من أمة الا خلا فيها نذير**) فاطر / ٢٤

ويقول سبحانه :(**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) الشورى / ١٣

والايمان كذلك بأنهم معصومون منزهون عن السيئات والمعاصي كبيرها وصغيرها أمناء في تبليغ كل ما في رسالاتهم لا يخونون ولا يغشون أقوامهم ، ولا يخفون عنهم شيئا ، ولا يهادنونهم في باطل ، ولا يسارعون في هواهم .

والايمان كذلك بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتمهم ، لا يأتي بعده

نبي ورسالته خاتمة الرسالات ، والقرآن خاتم الكتب ، وأن الله قد أتم به الدين ، وأكمل به النعمة صلوات الله وسلامه عليه .

وذلك الايمان إذا اتصل بواقع الحياة جمع الناس على كلمة سواء لا يختلفون ولا يتشاحنون ، فالحق واضح والحجة ناصعة .

بهذه الاصول الخمسة يصح اعتقاد الانسان ، ويحقق كمالات نفسه في هذا الجانب ، وهو أولى الجوانب بتحصيل الكمال فيه ، فعلى أساسه يقوم البناء الانساني ، وبسلامته تستقيم الحياة .

○ وتنتقل الآية ثانيا لتبرز الكمالات الانسانية في جانب : حسن معاشرة العباد .

فمن المعروف أن أسلم المجتمعات بناء هو الذي يقوم صرحه على قاعدة قوية من التكافل الاجتماعي بين أفراده ، فيرعى بعضهم بعضا ، ويتعاونون فيما بينهم على ما فيه خير المجتمع واسعاد كل طوائفه .

ومن بين كل المجتمعات ينفرد المجتمع الاسلامي بضرب المثل وتحقيق أسمى الصور في هذا المجال ، فبناؤه يقوم على قواعد عامة تتمثل في الرحمة ، ليست الرحمة الخاصة بالأهل أو الأقارب أو الجيران فحسب ، ولكنها الرحمة العامة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم تجسيدا حيا لها في حياته كلها ، بل ما بعث الا بها :(**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء / ١٠٧ وهو القائل يبين أساس البناء الاجتماعي في الاسلام : «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه .

ومن قواعد هذا البناء أيضا : التعاون :(**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**) المائدة / ٢ والتناصح : يقول عليه الصلاة والسلام : «الدين النصيحة ، قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، وكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم» رواه مسلم.والتآخي والمحبة والصفاء : يقول الله تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات / ١٠-ويقول صلى الله عليه وسلم : «المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام : «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم.

ثم إن هذه المبادىء كلها يحيطها إطار من التكافل الاجتماعي الذي يطالب المسلم فيه ببذل العون كاملا للمحتاج اليه ، وآية البر التي معنا قد أرست هذا المبدأ متمثلا في إبراز كمالات النفس في حسن معاشرة العباد ، ومكان ذلك فيها قوله تعالى :(**وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى**

والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) ويرجح المفسرون أن المقصود هنا صدقة التطوع لأن الآية نفسها بعد ألفاظ معدودة سوف تذكر الزكاة المفروضة صراحة ، وانما المسألة هنا بذل العون للمحتاج ما دام الانسان مستطيعا من غير وقوف عند فرض أو تقيد بنصاب ، لأنه يرى أن عليه التزاما تجاه أفراد المجتمع ـ وهم إخوته ـ ينبغي ان يؤديه .

والمسلم يتميز عن غيره في نظرته الى المال ، فالمسألة الاقتصادية عنده محاطة بأصول ينبغي ان تراعى ، فهو يستجلب الرزق بطاعة الله ، ويتحرى في ذلك الحلال ، وإذا كانت الأمم السابقة قد نصحت باستجلاب الرزق عن هذا الطريق فلم تنتصح ، فإن المسلم يحقق هذا الارشاد وقد أقره القرآن ، يقول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام :(**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾ نوح / ١٠ ـ ١٢ ويقول سبحانه :(**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)الأعراف / ٩٦ ويقول أيضا : (**ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون**) المائدة / ٦٦

ثم إن المسلم إذا جاء الرزق عرف أولا : أن الله تعالى هو واهبه ومانحه ولو شاء أخذه أو أباده وترك الناس في شقاء : (**قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**)الملك / ٣٠ (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون.بل نحن محرومون**)الواقعة / ٦٣ ـ ٦٧

★ وعرف ثانيا : دوره بالنسبة لهذا الرزق :(**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**)الحديد / ٧

★ وعرف ثالثا : وظيفة هذا المال عموما ، وأنه ينبغي أن يجعل في أيدي تعرف هذه الوظيفة :(**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**)النساء / ٥

★ وعرف أخيرا حق الفقراء فيه : (**والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**)المعارج / ٢٤ و ٢٥

من أجل ذلك كله أبرزت الآية معالم الكمالات الانسانية في علاقات المسلمين بعضهم ببعض ، وبينت أن الفرد في هذا المجتمع لا يمنعه حبه لمال حصله بكد ونصب ، ودخل ملكه ، وأصبحت النفس شحيحة به ـ أن يبذله تطوعا لمن هو في حاجة اليه من : ذوى قرباه ، يقول صلى الله عليه وسلم : «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن

ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله» رواه البخاري
● واليتامى ، قال تعالى : (**فأما اليتيم فلا تقهر**)الضحى / ٩ وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » رواه البخاري وأشار صلى الله عليه وسلم بالسبابة والوسطى وفرج بينهما دليل على رفعة منزلة من يفعل ذلك .
● والمساكين ، قال عزوجل : (**فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة**)البلد / ١١ ـ ١٦ وقال سبحانه أيضا :(**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) الانسان / ٨ وقال عليه الصلاة والسلام : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» قال الراوي وهو أبو هريرة رضي الله عنه : وأحسبه قال : وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر» متفق عليه .
● وابن السبيل : الذي انقطعت به الطريق وحالت ظروف سفره بينه وبين ما قد يكون له من مال في بلده :« ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة » متفق عليه
● والسائلين : يقول الله تعالى لرسوله الكريم يوصيه بالسائل : (**وأما السائل فلا تنهر**)الضحى / ١٠
● وفي الرقاب : أي في تخليص الرقاب وفكاكها بمعاونة المكاتبين أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها ، والرقبة مجاز عن الشخص كما هو معروف .

على أن ذلك كله ينبغي ان يتم في جو من الاعتقاد بأن الانسان مهما فعل فإن نعمة الله عليه غامرة ، وأنه بهذا الانفاق إنما يقوم ببعض الشكر لهذه النعم الالهية .

إن حقا على كل مسلم اليوم كما كان حقا عليه في كل وقت أن لا يقتصر على نظرة الاعجاب أو عزة الفخار بهذا المنهج القرآني في معالجة قضايا المال في الحياة ، ولكن ينبغي عليه أن يتجاوز ذلك الى تطبيق هذا المنهج في واقع الحياة ، فإنه بذلك يساهم في بناء المجتمع على الصورة التي أرادها الاسلام ، ويشارك أيضا في إبراز هذه الكمالات الانسانية عند كل فرد مؤمن .

○ ثم تنتقل آية البر أخيرا : لتصور معالم الكمالات الانسانية فيما يتعلق بتهذيب النفس

وذلك يتحقق بأربعة أمور مكانها في الآية قوله تعالى :(**وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس**)

لكن قبل بيان هذه الأمور يجدر بالمسلم أن يعرف أن ما افترضه الله تعالى

عليه من عبادات إنما شرع من أجل العابد ولمصلحته من : تهذيب نفس وصفاء سريرة واعتدال سلوك وتقويم طباع ، أما الخالق المعبود سبحانه فإنه غنى عن ذلك كله ، لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة ، وقد ورد في الحديث القدسي : (يا عبادي : إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل في البحر ، يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرافليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) رواه مسلم .

إقام الصلاة :

وتطبيقا لهذه القاعدة الالهية تسوق الآية في مفتتح كمالات الانسان ـ لتهذيب نفسه ـ اقامة الصلاة ، ومكانة الصلاة في الدين غير منكورة ، فهي عماده وأساس بنائه ، ومخ عباداته ، انها حياة القلوب وجلاء الابصار وطهارة الابدان وحرب الشيطان ، لذلك اهتم القرآن بشأنها أعظم اهتمام ، وتابعه في التوصية بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويكفي لايضاح ذلك ذكر طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ففي القرآن : يبين الله تعالى أنه أمر بها الأنبياء السابقين قبل أن يفرضها على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فإبراهيم عليه السلام يقول : (**رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء**)ابراهيم / ٤٠ واسماعيل عليه السلام يحكي عنه القرآن اهتمامه بشأنها :(**وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا**) مريم / ٥٥ وموسى عليه السلام يتلقى الأمر من ربه بإقامتها :(**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي . إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى**) طه / ١٣ و ١٤ وخاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم يقول له رب العزة :(**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**)طه / ١٣٢ ويقول له أيضا : (**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**)العنكبوت / ٤٥

ويأمر الله تعالى المؤمنين بالحفاظ عليها وأدائها مقومة خاشعة ، فيقول :(**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا**)المزمل / ٢٠ ويقول أيضا :(**قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون**))المؤمنون / ١ و٢ ثم يبين سبحانه أن إضاعتها تكون مقدمة للغرق في خضم الشهوات وبالتالي تورث أوخم العواقب : (**فخلف من**

بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)مريم / ٥٩

وفي السنة النبوية المطهرة : يعطي الرسول عليه الصلاة والسلام للصلاة قدرها من التوصية بها والاهتمام بشأنها ، فيبين أنها تغسل خطايا العبد المتوالية : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل كل يوم فيه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » متفق عليه.

ويوضح أيضا أنها تعلم الطاعة والنظام والتماسك بأدائها في جماعة : « ما من ثلاثة في قرية ولا بلد ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية » رواه أبو داوود وأحمد والنسائي

ويبين أيضا أنها تجعل الانسان نشيطا وثابا الى الخير : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها وأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه.

★ إيتاء الزكاة :

وتشير الآية إلى أداء الزكاة بنفس الاهتمام وتبرزها لنفس الهدف ، والزكاة هنا هي الزكاة المفروضة التي لا يقبل بدونها الايمان ، وإليها أشار القرآن في قول الله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**) التوبة/١٠٣ . وهي وإن افترقت عن صدقة التطوع بضرورة أدائها دون وجوب الأولى ، إلا أنها تنطلق معها من منطلق واحد هو إقامة المجتمع الاسلامي على قاعدة صلبة من التكافل الاجتماعي وقد سبق الكلام في ذلك ، لكنا نزيد هنا أمرا هاما يلزم التنبه له عند إخراجها وهو أن تكون هذه الزكاة من طيب المال الذي يحبه الشخص لا من رديئه : (**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) آل عمران/٩٢ ، وأن يتحرى في إخراجها أيضا أن تكون من الطيب الحلال لا من الخبيث الحرام : (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون**) البقرة/٢٦٧ .

★ الوفاء بالعهد :

والوفاء بالعهد ساقته الآية أيضا وصورته معلما من معالم الكمال

الانساني الذي يدل على نفس خيرة مستقيمة ، لأنه فوق كونه فضيلة خلقية تثمر الخير في المجتمع هو أمانة يحاسب المؤمن على أدائها ، يقول الله تعالى : **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)** الاسراء/ ٣٤ . ويقول ايضا : **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)** النحل/ ٩١ .

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل في الوفاء بالعهد ، فكان لا يغدر ولا يخون ولا ينقض العهد وإن فعل أعداؤه ذلك ، والناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم مع قومه يجدها دوما وفاء وأمانة والتزاما ، وأمثلة عهوده مع اليهود في المدينة ، ومع قريش في الحديبية ومع غيرهم في كل المواقف أبلغ شاهد ودليل على ذلك ، ولولا خشية التطويل لأفضنا القول فيها ، ولكنها مبسوطة في كتب السيرة فليرجع إليها من شاء .

وأمام ما كان يحدث من معاهديه من اليهود وغيرهم من خيانات لم يؤمر صلى الله عليه وسلم أن يقابل هذه الخيانات بمثلها ، وإنما أمر بعلاج ذلك باعلام من يخاف منهم خيانة في المستقبل وتبدو منهم بوادرها أن ينبذ إليهم ويعلمهم جهرا بما ينتوون وأن يبادر مع ذلك إلى إجهاض ما تحمله هذه النوايا من بغي خاصة إذا كان ذلك قد ألف منهم ، يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن : **(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)** الأنفال/٥٨ .

ولا غرو فهو القائل صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » متفق عليه .

الصبر في البأساء والضراء وحين البأس :

وتختتم الآية الكريمة معالم الشخصية الاسلامية في كمالها الانساني ببيان مظاهر القوة والعزة والصبر فيها على كل حال وفي مواجهة كل الظروف .

وأشد ما يؤلم النفس وتجزع له ، بل جماع المشاكل الانسانية كلها ترجع إلى أسباب تتعلق بالرزق أو العمر ، فالفقر والمرض أمران يؤرقان الانسان ، لكن المؤمن في مواجهتهما يكون دائما صابرا صامدا ، لأنه ينظر إلى المسألة من خلال أمرين :

الأول : أن أمر الرزق والصحة بيد الله وحده سبحانه ، فما أصاب الانسان فيهما فمن الله ، وينبغي ألا يوجه إلى الخالق اعتراضا أو احتجاجا .

الثاني : أنه يرجو بصبره الأجر من الله تعالى ، واليسر بعد العسر .

ولقد صور القرآن هذه النظرة الايمانية للمؤمن عند وقوع الضر في حياته اختبارا ، وذلك في قول الله تعالى : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**) البقرة/ ١٥٥ ـ ١٥٧ .

وفي مقابل هذا الصبر يعطى الله للمسلم أملا مستمرا في فرج كربه فيقول تعالى : (**فان مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا**) الشرح/ ٥ و٦

ولقد أبرز النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفة من صفات المؤمن في قوله : « عجبا لأمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) رواه مسلم .

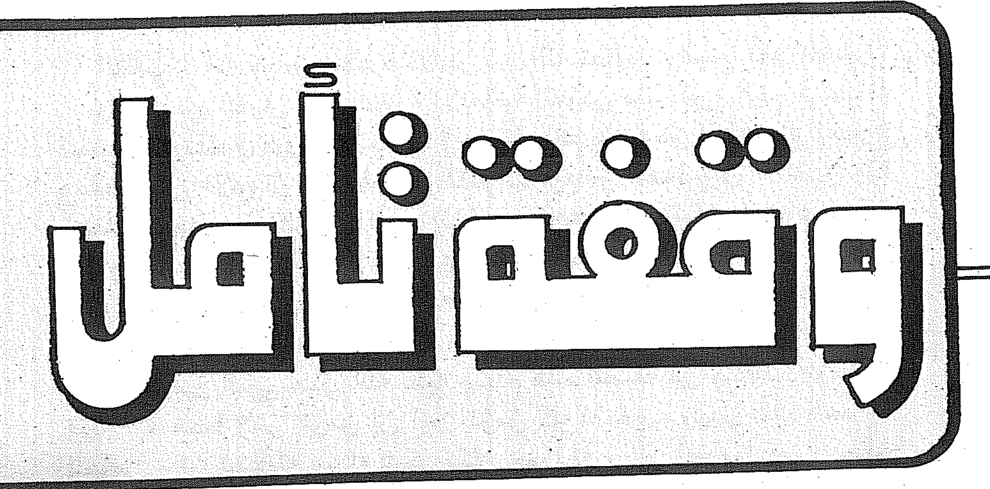
فاذا ما جاوز الخطر والضرر مرحلة التوقع والاحتمال إلى مرحلة الرجحان بل والاقتراب ، وذلك عند لقاء العدو في ميدان الجهاد ، وهو المقصود بقوله سبحانه : (**وحين البأس**) لم يتغير صبر المؤمن في مواجهة الموقف ، بل يزيد ويثبت انصياعا لأمر الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**) الأنفال/ ٤٥ و٤٦ .

ثم هو بعد ذلك يثق فيما عند الله تعالى : إما رجوع بأجر مع غنيمة ، وإما شهادة تعدل في منزلتها في الآخرة منزلة الأنبياء والصديقين .

وبهذه الأمور الأربعة تضع الآية ملامح شخصية المؤمن في إطار الكمال الانساني المنشود ، لكنها قبل أن تترك المجال تضع آخر اللمسات في لوحة هذا الكمال وتبرز ألوانها مشرقة صافية واضحة بهذا الوصف : (**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**) .

فمن حقق لنفسه منازل الخير الواردة في سائر الآية هو إنسان صدق الله تعالى : في عهد الايمان ، وإخلاص الطاعة ، وطلب مرضاته سبحانه ، وإلى جانب ذلك : طبع كل تصرفاته بطابع التقوى التي هي في أبسط معانيها : الخوف من الله تعالى .

بقي أن نقول : إن القرآن الكريم في تصويره لهذه الكمالات لم يجعلها ضربا من المثاليات بعيد المنال ، ولم يسقها ـ في ثوب من التجريد ـ معاني غامضة لا يفهمها المكلف فضلا عن استطاعة تطبيقها ، وإنما قدمها تشريعات عملية مستطاعة عالج بها الواقع الاجتماعي : إصلاحا لشأنه ، واهتماما بأمره ، وبناء لأركانه على أسس من الخير والمحبة والتعاون .



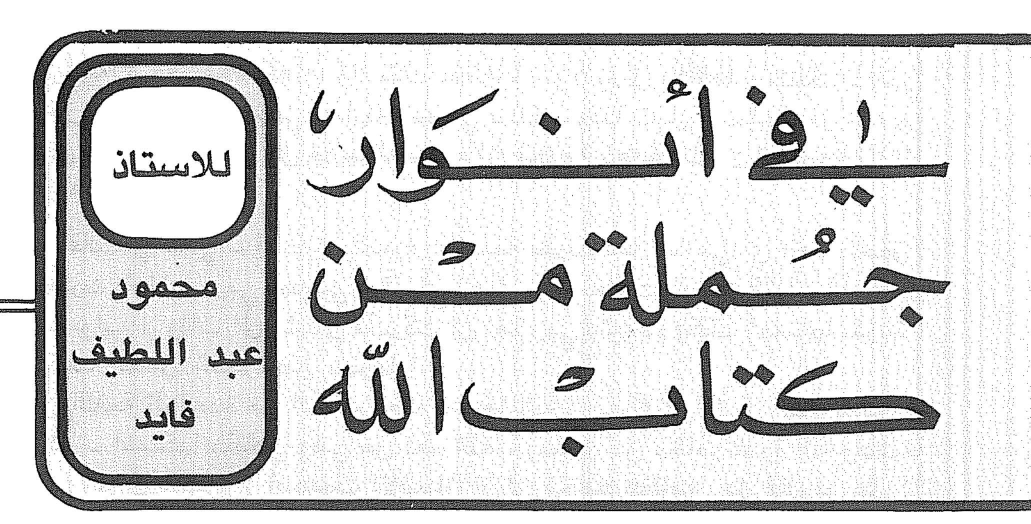
أ ـ ضرورة الراحة من الشواغل :

أحيانا تنسينا شواغل الحياة أنفسنا ، ويشقينا اللهاث في طلب الرزق ، والسعى على العيال ، فنأوى الى كتاب الله نتفيأ ظلاله ، ونتدبر جلاله وجماله ، وما أحوج المسافر الى محطات يستريح فيها !! ويلم فيها أشتات نفسه الممزقة ، ويجمع خواطرها المتفرقة وهل تجد الأمان الا في ظلال القرآن ؟ ونعانق الاطمئنان الا في رحاب الايمان ؟ :(**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**)٢٨ / الرعد .(**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**)٨٢ / الاسراء .

وبقراءة القرآن الكريم ، وذكر الله العظيم يتدفق المدد ، وتتفتح أبواب المنعم الصمد ، فيرفع عنا ما يتعب الظهر ، ويؤود الصدر ، ويعلو قدرنا ، وينتظم أمرنا :(**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**)١٥١ و ١٥٢ / البقرة .

ب ـ باب التوفيق والنصر :

فإذا أردنا بهجة الروح ، واستشرفنا فيض الفتوح سعدنا بمنحة القرب ، وحلاوة المناجاة .. ولا بد لهذا المقام من الانقطاع الكامل عن الشواغل ، والتهيؤ النفسي ليكون الانسان بعيدا عن الأغيار ، نقيا من الأكدار ، صالح القلب لشروق



الأنوار « فليست حقيقة الذكر باللسان بل لا بد أن ينشأ أولا في الشعور والوجدان ، ثم يفيض على اللسان مناجاة وحمدا ، وتسبيحا وتنزيها ، فحينئذ يكون المسلم من الذاكرين حقا الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما . والمسلم الذي يذكر ربه يذكره ربه كما يقول الله عز وجل في حديث قدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأذكرته في ملأخير منه » رواه الشيخان ص ١٣٠ ، ١٣١ من شخصية المسلم كما يصورها القرآن للدكتور مصطفى عبد الواحد .

والقرآن الكريم ذكر :(**هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب**)٤٩ و ٥٠/ص

جـ ـ عظمة الذاكرين :

المسلم الذي يذكر ربه يناجيه بقلبه ، ويملأ فؤاده بحبه ، ويستضيء بنوره ، ولهذا فإن الذكر حياة للقلب ونور ، والغفلة عنه موت وظلام لأن الذي يغفل عن ذكر ربه ينسى حقيقة الوجود ، وسر الحياة وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت) رواه البخاري وهو تصوير صادق لما ينشئه ذكر الله في نفس المسلم من قوة وحياة ، وما يمده به من زاد ، وما يفتحه أمامه من آفاق الايمان الداعي الى العمل .

د ـ جملة فياضة بالأضواء :

وفي القرآن الكريم ينابيع ثرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. هذه

الينابيع لا يغيض ماؤها ، ولا ينفد عطاؤها ، ولا يذبل رواؤها ـ ولنقف ـ أخي القارىء الكريم ، وأختي القارئة الفضلى ـ لنقف وقفة تأمل في ساحة قول الله عز وجل : (**وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ٣٤ ابراهيم .

قالت لي نفسي ـ الامارة بالسوء : النعمة مفردة فما الداعي الى العد المعجز ؟ وفكرت مليا لعل ربي يهديني ويقربني نجيا ، واستغفرت الرحيم التواب فعدت الى الصواب .. وثاب الى رشدي فأدركت أن نعم ربي متعددة فكيف أحسبها مفردة ؟ وكيف أفصل القطرة من بحرها ؟

إن اللقمة الواحدة من الطعام نعمة يسرها الله لي ـ وكلنا يأكل في اليوم مرتين أو أكثر ـ أمسكها بأناملي وهي من نعم الله ، ومظهر من مظاهر قدرة الله وعظمته وإبداعه في خلقه : (**أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه**)٣ و ٤ / القيامة . هذه اللقمة أراها بعيني ، وهما نعمتان ، بل إن كل لمحة من إحداهما في كل ثانية نعمة !

وأقضم اللقمة وأصحنها بفمي ، وفيه عديد من النعم .. وأتنفس والتنفس لازم للحياة وللانتفاع بالطعام .. فكل نسمة هواء أستنشقها نعمة .. وتنفسي لا ينقطع ليلا ونهارا .. ومن زرع ؟.. ومن روى ؟.. ومن حصد ؟ ومن طحن ؟ ومن حمل ؟ ومن عجن ؟ ومن خبز ؟ أليس كل هؤلاء بعض المسهمين في صنع اللقمة ، والفضل للخالق المنعم الوهاب : (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون**) !

(تفكهون : تندمون) ٦٣ ـ ٦٥ / الواقعة

وسألت نفسي هل استطعت عد النعمة ؟

وجال فكري جولة أخرى : هذه لقمة تضمنت عديدا من النعم أدركت في نورها فيضا من فضل الله وكرمه .. أليس العقل الذي أدرك نعمة ؟ وما قيمة الانسان إذا حرم العقل الواعي المفكر المتدبر ؟ هل يزيد كثيرا عن الأنعام التي تأكل وتشرب ، وتلهو وتلعب ؟

وساح عقلي في أنوار الآية سياحة أخرى :

هذه كلمات مباركات هي بعض آية حفظتها وحاولت فهمها ، وإدراك معانيها ومراميها ـ فمن الذي علمني القراءة والكتابة ؟ ومن الذي زج بي في قافلة النور لأدراك أغراض التنزيل ، ومرامى التأويل ؟ أليس شيوخي وأساتذتي ، بعض توفيق وفيض المنعم الجليل ؟

هـ ـ وكلما تكرر حلا

يا صاحب الأمداد ، وباسط الاسعاد .. لا علم لي إلا ما علمتني سبحانك ! قلت

في كتابنا العظيم القرآن الكريم :
(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)
جملة مكونة من ستة وعشرين حرفا ، تقف في أنوارها المعاني صفا صفا !! روى ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ص ٣٠٣ ـ رياض الصالحين ط المكتبة الأهلية ببيروت . أمامنا ستة وعشرون حرفا وكل حرف بعشر حسنات فجزاؤنا مائتان وستون حسنة و : **(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** ٤ / الجمعة
وهذا الجزء من الآية صدر بإن الشرطية وهي غالبا تدخل على المشكوك فيه كما يقول أهل البصر بالبلاغة ـ فهل تستغرق الدنيا الناس حتى يشغلوا بالنعم فيذهلوا عن واهب النعم ، والانسان كثير النسيان .. وهأنذا حاولت عد نعمة الله فأدركت أني كمن يحاول إحصاء ذرات الرمال أو وزن الجبال !!

و ـ وجهة نظر بعض العارفين

شغلتنا اللقمة ، وحسبناها نعمة صغيرة ، فإذا هي نعم كبار كثار وكأنها عين الانسان تحسبها حيزا ضيقا لكنه يرى بها الكون كله ، ويقرأ مؤلفات الأسلاف ، ويرى بها مظاهر العظمة والقدرة على الأرض ، ويرنو بها إلى النجوم في خشوع وإجلال للحي القيوم ، فإذا ما ترقينا في السلوك ، وفكرنا في نعم ملك الملوك وجدنا بعض شيوخنا يجد نعم الله في كل حالة ، ويلمحها في عسره ويسره ، فهو من وجده واجد ، ومن إغماضه عينيه عن الدنيا مشاهد لجلال ربه ، وما أجمل قول شيخنا العارف بالله ابن عطاء الله السكندري في (لطائف المنن) : (ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك ، وإذا عرفك سر المنع فقد أعطاك) !! يعني ـ والله أعلم ـ ربما أعطى الله لبعض الناس مالا وأولادا وزخرفا فشغل بالوسيلة عن الغاية ، وبالموهوب عن شكر الواهب فكان ماله سببا في الوبال ، وسوء المآل .. وربما كان الرزق بقدر القوت حتى لا يذهل العبد عن القيام بحق خالقه ورازقه ، ومعتقه من أسر الماديات ـ فيجد المرء سكينة النفس في الاقبال على الله ، ويسعد بعبادته مخلصا بلا رياء : **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** ١١٠ / الكهف .
وإذا عرفنا الله سر المنع فقد أعطانا ، وهل في الدنيا متعة تعدل متعة العلم والمعرفة بجلال الله ، وما ينبغي له من ذكر وشكر ـ إن ابن عطاء الله رأى في المنع منحا ؛ فكل ما يصنع الجميل جميل : **(ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)** ٥٤ / الأعراف .

ز ـ من هدى سلفنا الصالح :

وإذا كان بعض أجدادنا الصالحين قال شاكرا لأنعم الله عليه وقد قدم إليه طعامه وكان يأتدم بزيت وخل ، ويقيم في المدينة المنورة : (زيت الشام بخل البصرة ! إن هذه نعمة ما نطيق شكرها) !! فماذا يقول من يأتيه دقيق خبزه من كندا أو استراليا جوابا بحارا ، متجشما أسفارا ؟.. وأما الادام والفواكه فمن أركان الدنيا .. كيف يذكر ويشكر ؟ وكيف ننسى أن الاسلام دعانا الى الاهتمام بالزراعة والغرس ؟ ومن أقوال سلفنا الصالح (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيل فليغرسه) وعن جابر وأنس ـ رضي الله عنهما ـ قالا : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم (لا يغرس مسلم غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كانت له به صدقة) (رواه البخاري ومسلم) ولم لا نغرس ونزرع حتى لا نشعر بالحرج والضيق إذا تأخر الدقيق أو ارتفع السعر ؟.. لنزرع حتى نشعر بعزة الايمان والاطمئنان : (**و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) ٨ / المنافقون .
ألا يشعرنا ما تزدحم به أسواقنا ، وتمتلىء به مخازننا ـ بعظمة أنعم الله علينا مع تكاسلنا أو تغافلنا ؟.. والأمر حيوي يتعلق بالطعام والزاد وهو من ضرورات الجماعات والأفراد !

ح ـ مثل محسوس

إن نعمة الله حينما تفكر فيها يا أخي بقلب سليم ، وفكر مستقيم حينما تضعها في حنايا الصدر ، وتجعلها بين مرآتين من ذكر وشكر .. هذه النعمة أشبه بشمعة بين مرآتين ترى في ضوئها صفا من الشموع لا تدرك آخره ، وبقدر إخلاصك في التأمل ، وشفافيتك في التدبر تنثال عليك المعاني ، وتتداعى اليك الرؤى ..!! وأنت تدرك يا أخي الكريم : « أن غاية التلاوة هي اتصال القلب بأنوار القرآن ، ووقوف العقل أمام ما تحويه آياته من حق وهدى ، فهي عبادة تحتاج الى قلب سليم ، وعقل مستقيم » كما جاء في كتاب : « شخصية المسلم كما يصورها القرآن) ص ١٤٣
ولذلك نشفق على قومنا الذين يقفون بعيدا عن معين القرآن منشغلين بألحان ونغمات لا معنى لها ، ولا حقيقة من ورائها إننا نريد خشوع القلب ، وحضور اللب ، واستحضار جلال القرآن ، ولأمر ما قال الله عز وجل : (**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**) ٢٠٤ / الأعراف . تأمل يا أخي قوله عز وجل :(**وأنصتوا**) بعد : (**فاستمعوا له**) لأن الانشغال باللهو يحجب نور القرآن ، والغرق في هموم الدنيا لا يتفق مع جلاله ، وإذا لم يكن القلب مصغيا الى هداية القرآن فلا جدوى من تلاوته ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن ماائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » رواه الشيخان .

ط ـ الأسوة الحسنة

ولقد كان رسولنا الحكيم صلى الله عليه وسلم ـ الأسوة الحسنة ـ يخاطب الناس على قدر عقولهم مبينا عظمة القرآن لأنه الهدى والنور، والمنهج والدستور .. يقول عليه الصلاة والسلام : « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله ، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » رواه الترمذي .

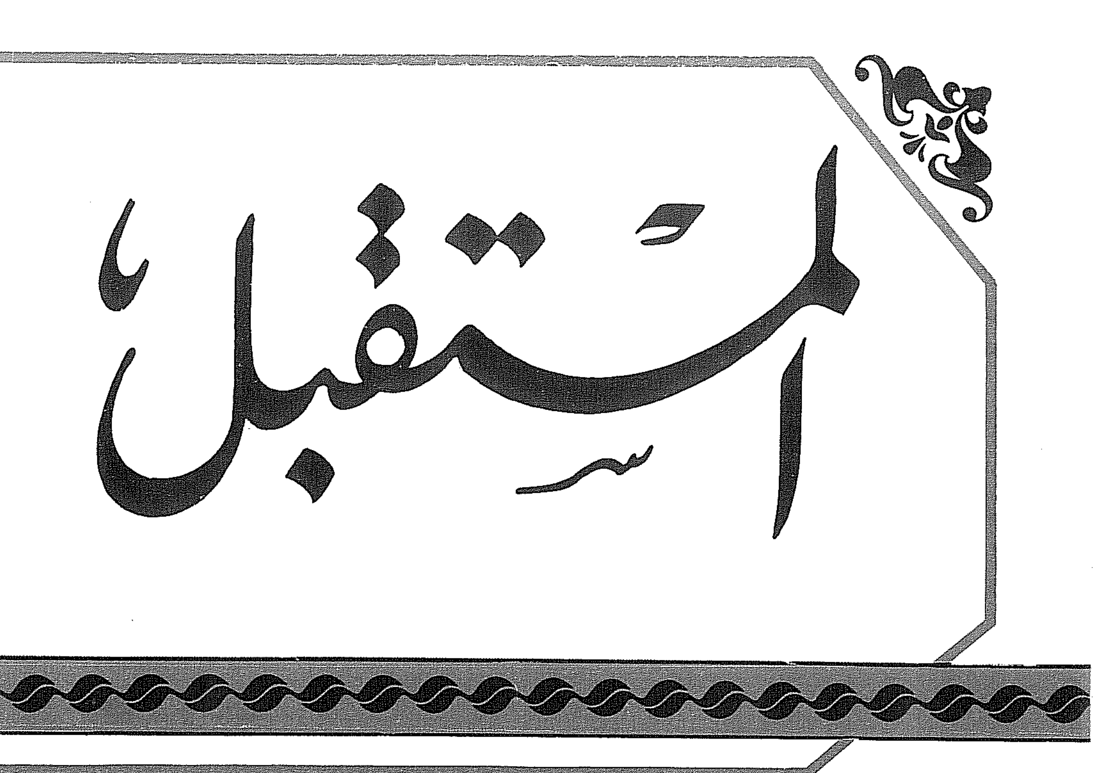
فهل رأيت نفعا أعظم من هذا النفع ، وغرسا يعطيك أبرك من هذه الثمرات ؟
إن تعلم القرآن يعود على المسلم بثمرات تفضل كل عرض من أعراض الدنيا ..وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه فقال : « .. أفلا يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل ـ خير له من ناقتين ، وثلاث خير من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الابل » رواه مسلم .

● ـ وبعد ..

فهل توافقني يا أخي على ما ذهبت اليه من أن نعم الله سلسلة ، كل نعمة منها لا تدرك مفردة .. فلا ندرك نعمة الا بنعم ؟ هي أشبه بزرع أخرج شطأه فآزره ؟ أم تقول كما قال بعض شيوخنا من أهل العلم أن (نعمة) يراد بها النعم كأنهم قاسوها على (كلمة) قد يراد بها أحيانا (الكلام) قال ابن مالك
(وكلمة بها كلام قد يؤم)
يؤم : يقصد . وفي القرآن الكريم (**حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها**) ٩٩ و ١٠٠ / المؤمنون
وما أحوجنا إلى شكر نعم الله علينا ، وتقدير آلائه لدينا عسى الله أن يزيدنا هدى ، ويكشف عنا حجب السهو والغفلة ويزودنا بزاده الأبقى والأرقي : (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**) ١٩٧ / البقرة . ورحم الله شاعرنا الحكيم الذي قال :

شكر الاله نعمة موجبة لشكره
فكيف شكري بره وبره من شكره ؟

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، ودليل أعمالنا ، ودافعنا الى طريق الصلاح والفلاح :(**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور**) ٢٩ و ٣٠ / فاطر .

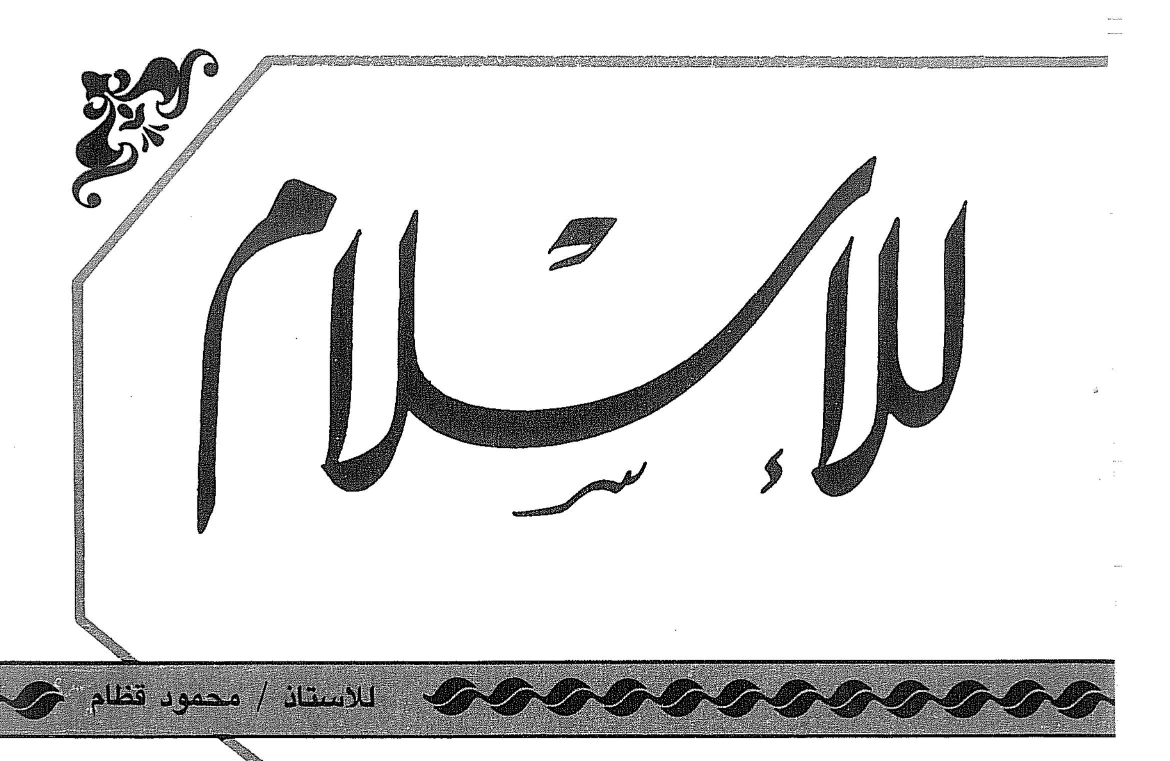


تشير التقارير الصادرة عن الدوائر الغربية او الشرقية او العربية والاسلامية الى عودة جماعية الى الله ، تتم كل يوم في مختلف بقاع العالم الاسلامي ودخول جماعات جديدة في البلدان الاجنبية للاسلام .

فعلى الصعيد العربي والاسلامي هناك ظاهرة ايجابية بارزة بدأت تأخذ طريقها وسط محاولات التخريب التي تجري بفعل عوامل موضوعية وذاتية وخارجية في العديد من البلدان الاسلامية ، الا وهي عودة الشباب الى الله سبحانه وتعالى ، ويبرز هذا من خلال المواظبة على صلاة الجمع والجماعات في كل وقت . وانتشار الحجاب الاسلامي بين فتياتنا في الجامعات والمعاهد والمؤسسات والشركات ذات الطابع الاسلامي ومؤسسة الاستثمار الاسلامية وغيرها .

نعم ان المستقبل للاسلام داخليا على الصعيد الاسلامي ، وعلى الصعيد العالمي بحول الله تعالى **لاسباب ابرزها** :

١ ـ افلاس الحضارة الغربية القائمة على الرأسمالية الليبرالية التي تضحي بالجماعة والمجتمع مقابل الفرد ، والتي قسمت المجتمع الى طبقتين متميزتين لا ثالث لهما ، طبقة



البرجوازية حتى التخمة ، والفقيرة حتى العدم ، وما ترتب على ذلك من صراع طبقي وحقد اجتماعي ترسب مع الايام نتيجة احتكار فئة البرجوازية لكافة المقدرات الحياتية لجميع ابناء الشعب بمن فيهم الفقراء ، وما تمخض عنها من قيم مادية متعفنة وفلسفات مادية اتخذت الاجرام والادمان على المخدرات والهوس والشذوذ الجنسي طريقا لها تحت ستار جماعات متعددة الاسماء والمسميات كجماعة الهيبز والباكنز وهاري كريشنا وجماعات السلاسل الحديدية والبيتلز .. الخ مما ادى بالتالي الى ازمة قيم وازمة ضمير حادة لن تنتهي قبل ان تقتلع الاخضر واليابس في المجتمع الغربي .

يقول ليولد فلم دانز في كتابه « الانسان والضمير المأساوي الممزق » « ان الانسان المنتمي الى عصرنا هذا لا يؤمن بشيء ولا يفكر ، انه لم يفكر بعد ولكنه يعلم كثيرا ان نهاية المسيحية تشمل ايضا نهاية الايديولوجيات الاخرى كالماركسية التي تجتاز من اجل ذلك ازمة عميقة وان هذه الازمة ليست ابدا علامة حياة بل علامة موت » .

ويرى المفكر لاموني « ان الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة الى الهلاك انه في النزع الاخير كذلك

الانسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء فكثرة الاخطاء في حضارتنا تجرها الى الغرب . »

ويقول د . عبد الله عزام ان سبب انهيار الحضارة الغربية واضح بسيط هو انها قامت بلا دين واتخذت ربها وراءها ظهريا .

ويقول برنارد شو الفيلسوف البريطاني « كنت اعرف دائما ان الحضارة تحتاج الى دين وان حياتها او موتها يتوقفان على ذلك » .

اما الكسيس كاريل في كتابه الانسان ذلك المجهول فيقول « ان القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكأن البيئة التي اوجدها العلم للانسان لا تلائمه لانها انشئت دون اعتبار ذات الانسان». ويقول برتراند راسل « ان حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح على حين كان الناس اجدر من الحيوان بهذه السعادة ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم الحديث ، واليوم اصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة والسعادة » .

اما ماكنيل فيقول « ان الحضارة الغربية في الطور الاخير من اطوار حياتها اشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم قمته ثم انشب مخالبه في امعائه فانتزعها واخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفي . »

اما ارثر شوبنهاور فقد وصف الحياة الغربية بايجاز قائلا « ان الحياة تتأرجح من اليمين الى اليسار من الالم الى الملل ، ويستغيث هذا الغرب المسكين الهه اذا شاء انه سيظل فريسة مصيره فالقدر لا يرحم » .

ويقول شبنجلر « ان للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك ، وان حضارة جديدة اوشكت على الشروق في اروع صورة هي حضارة الاسلام ، الذي يملك اقوى قوة روحانية عالمية نقية . »

من هنا يمكن القول ان المستقبل للاسلام ، فعلى سبيل المثال بعض البلدان التي كانت في الماضي القريب جدا حاملة لواء الحروب الصليبية بدأ التيار الاسلامي يزحف اليها ، ففي بريطانيا ازداد الاتجاه الاسلامي بشكل لم يسبق له مثيل فقد ذكرت صحيفة صنداي اوبزيرفر البريطانية ضمن مقالة خصصتها عن الحركة الاسلامية في بريطانيا ، « ان هناك ٥٠ الف بريطاني اعتنقوا الاسلام ، وان الدين الاسلامي يزداد شعبية في بريطانيا حيث يعتبر الدين الاسلامي هو الثاني في بريطانيا . ومع ذلك لم تعترف الحكومة البريطانية به حتى

الان خوفا من ان يكتسح الساحة البريطانية » .

وفي اسبانيا وبعد هزيمة المسلمين التي مضى عليها زهاء سبعة قرون تم وضع حجر الاساس لاول مسجد في اسبانيا في التاسع من اكتوبر ١٩٨٠ بالقرب من مدينة قرطبة التاريخية .

كما ازداد عدد المسلمين في سويسرا خصوصا مدينة جنيف حيث جرى مؤخرا بناء اول مسجد كبير لسد حاجة المسلمين هناك . كذلك ازداد الاقبال على الاسلام في الهند وفي فلسطين المحتلة هناك تصاعد موجة المد الاسلامي بين المسلمين في الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ و١٩٦٧ من جهة ومن جهة اخرى تزايد دخول اعداد كبيرة تقدر بالمئات من الفئات اليهودية للاسلام ، بحيث استدعى هذا الامر بحث هذه المسألة من قبل هيئة حاخامين صهاينة لبحث هذه المسألة الخطيرة في نظرهم ، كذلك في امريكا حيث ازداد دخول الزنوج الامريكيين للاسلام .

٢ ـ تراجع الشيوعية الالحادية حتى في اقوى معاقلها عن العديد من المبادىء والمنطلقات التي اعتبرت اساسية في فلسفتها ، كما حصل في روسيا حين تحول شعار دكتاتورية البروليتاريا الى شعار دكتاتورية الحزب والرجل الواحد منذ عهد ستالين الى عهد برجينيف ، ودكتاتورية العشيرة والعائلة الواحدة كما هو الحال في رومانيا الاشتراكية حيث تسيطر عائلة شاوشيسكو على مقدرات الامور في رومانيا .

كذلك بدأ العد العكسي للشيوعيين في العديد من البلدان الاشتراكية من خلال الثورات المضادة في كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر التي قمعت بالحديد والنار والعنف الدموي في حينها . وكذلك سير يوغوسلافيا نحو الاستقلال بعيدا عن موسكو والتوجه صوب معسكر دول عدم الانحياز . كذلك الحال في بولندا التي تعيش الان في ظل احكام عرفية بعد سيطرة الجيش على السلطة لقمع الاضرابات العمالية التي تنظمها نقابة التضامن على اعتبار انها ثورة مضادة تهدد المكتسبات الاشتراكية .

٣ ـ زيف وتراجع المذاهب والتيارات القومية التي روج لها الاعداءوالاستعمار بشكليه القديم والحديث ، فالقومية التي توهم المروجون لها انها ستوحد العرب وتجعلهم امة واحدة وتعيد للعرب مجدهم التليد ، ما فتئت تكرس الاقليمية والتجزئة التي خلفها الاستعمار ، وما برح دعاة القومية يقصرون نضالهم وكفاحهم ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية من خلال التمسك بكراسي الحكم حتى الرمق الاخير من حياتهم . وكأن النضال ضد الصهيونية والامبريالية يكون من خلال التشبث بكراسي الحكم وقمع كل حركة شعبية تطالب بضرورة العمل الاسلامي لتحرير الارض والمقدسات .

٤ ـ صلاحية الاسلام لكل زمان

ومكان ونظرته العامة الشاملة لكافة المناحي الحياتية وثباته في نهاية المطاف كدين ومنهج حياة متكامل من خلال الصراع الطويل مع المذاهب والايديولوجيات الاخرى ومن خلال مسيرة التطور الاجتماعي التي ستفرض البقاء للاصلح والاقوى والانسب والاقدر على التكيف .

فلقد جرب المسلمون الديمقراطية الغربية فأخفقوا في الوصول الى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي . ثم لجأوا الى الاشتراكية تعويضا عن فشلهم في تجربة الديمقراطية الغربية دون ان ينتبهوا الى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون اليه من كفاية وعدالة ومساواة وتكافؤ الفرص وقضاء على الفوارق ومحو للطبقات .

كما قامت في البلاد الاسلامية تجارب شتى شرقية وغربية مدنية وعسكرية متطرفة ومعتدلة يسارية ويمينية فلم يبلغوا شأوا ولم ينالوا حظا من التوفيق ولم يزدادوا الا انحرافا وزيفا عن الصراط المستقيم وطريق الحق وسبيل الرشاد .

من هنا يمكن القول ان الوضع الراهن للمسلمين يبشر بالخير ذلك ان الازمات الخانقة التي تعيشها الامة الاسلامية لا يمكن ان تكون الا ايذانا بزوال اسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق . وما هذه الفتن والقلاقل والاضطرابات والفواجع التي تملأ الساحة الاسلامية الا الام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله ان يعقبه يسر ، طال الوقت او قصر وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

يقول برنارد شو الفيلسوف الانجليزي الشهير « ان انجلترا بل اوروبا لو احتاجت الى دين تتبعه لينقذها مما هي سائرة اليه من دمار محقق ودمار لا مناص لها منه فليس امامها الا الاسلام » ويضيف اني اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ولقاده الى الخير ولحل مشاكله على الوجه الذي يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة».

ويقول البر مشادق : من يدري .. ؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون اليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية وفي الوقت المناسب . ويضيف لست متنبئا ولكن الامارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها .

ان المسلم قد استيقظ واخذ يصرخ هانذا انني لم امت ولن اقبل بعد اليوم ان اكون اداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها .

٥ ـ عودة الناس الى الله عز وجل بعد خوضهم غمار تجارب عديدة في الالحاد والاباحية والفوضى والعبثية ، ولاقتناع البشرية الراسخ ان السبيل الوحيد للقضاء على الفراغ والعلاج

الناجع لامراض العصر ، يكون من خلال الايمان بالله الذي يؤدي الى السكينة والطمأنينة مصداقا لذلك قوله تعالى : (**هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما**)الفتح / ٤ وبهذا الصدد يقول الفيلسوف الغربي كارل ياسبرزان : الانسان في حالة غياب مبدأ او عقيدة يعتنقها يجد نفسه تائها ضائعا وغيرها من حالات الوجود الحادة .

٦ ـ الحتمية التاريخية والجدلية للاسلام مصداقا لذلك قوله تعالى : (**يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) التوبة / ٣٢ و٣٣ كذلك تأكيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره بسيادة الاسلام على كافة البقاع حيث روى ثوبان رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » رواه الترمذي وقال حسن صحيح . كذلك قوله صلى الله عليه وسلم«ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله هذا الدين بعز عزيز او بذل ذليل عزا يعز الله دين الاسلام وذلا يذل به الكفر رواه احمد وقال حسن صحيح .

وعن ابي قبيل قال : كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل اي المدينتين تفتح اولا القسطنطينية او رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق قال : فأخرج منه كتابا قال : فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اي المدينتين تفتح اولا القسطنطينية او رومية ؟ فقال صلى الله عليه وسلم مدينة هرقل تفتح اولا . يعني القسطنطينية رواه احمد والدارمي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وقد فتحت القسطنطينية عام ٨٥٧هـ على يد القائد الاسلامي محمد الفاتح في عهد

الدولة العثمانية اي بعد البشارة النبوية بثمانية قرون ونصف وستفتح روما باذنه تعالى قريبا . لان رسولنا الكريم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اليه .

فمثل هذه التأكيدات الالهية والنبوية لا تدع مجالا للشك في ان المستقبل للاسلام حتما لا محالة ، وهي بذات الوقت تطمئن القلب والنفس الانسانية المضطربة وتبشرها بنور الاسلام من جديد بعد سبات عميق وظلام ظن البعض انه سرمدي .

وخلاصة القول ان تاريخ هذه الامة بمراحله المختلفة اثبت حقيقة واحدة ان الاسلام كان الوسيلة الوحيدة القادرة على جمع هذه الامة وتحرير ارضها وتوحيد صفها واشاعة العدل والرخاء والخير في ارجائها .



أوحى الله عز وجل إلى ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل أن يرفعا قواعد البيت الحرام أول بيت وضع للناس ليكون مثابة لهم وأمنا .

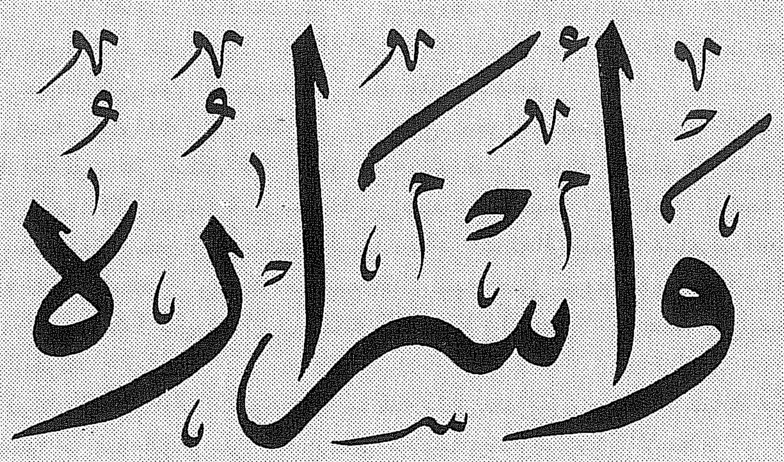
وقصد الخليل ابراهيم وجه ربه ليتقبل عمله داعيا أن يجعل هذا البيت المحرم مناط رجاء القصاد وموضع حب عباده المخلصين ، وأن يحفظه من بطش الطغاة والآثمين على مر الزمان وكر السنين .

وعام تلو العام تزحف القوى البشرية المسلمة تلبية لأذان الخليل ابراهيم الذي أمره خالق الخلق ومالك الملك ، بأن يؤذن في الناس بالحج ، ويدعوهم لزيارة أول بيت وضع للناس يقول : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)الحج/ ٢٧ .**

ولقد ملأت الدهشة نفس الخليل ابراهيم ، وقال يارب : كيف أؤذن في الناس بالحج ؟ وماذا عسى أن يبلغ صوتي في هذه الآفاق ؟

فيجيبه المولى القدير : يا ابراهيم عليك الآذان وعلينا الابلاغ . وفي مواقف الحج الرائعة يتجلى الحق تبارك وتعالى على عباده القاصدين ويباهي ملائكته الابرار ويقول : يا ملائكتي ما طلب هؤلاء ؟ فتجيبه الملائكة يا ربنا أنت أعلم بهم منا إنهم يطلبون منك العفو والمغفرة فيقول أحكم الحاكمين عز وجل أشهدكم يا ملائكتي أني قد عفوت عنهم ، وغفرت لهم وأنا الغفور الرحيم .

وعظم الله بيته وقدسه وكرمه وشرف البلد الآمن مكة المكرمة ، وزادها من



للشيخ/ سليمان أحمد التهامي

فضله ، بأن بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من قلبها ، فكان شرفها شرفين ، وفضلها فضلين . وشرع الله الحج وفرضه على كل مسلم ومسلمة في كتابه الكريم وسنة نبيه الصحيحة المتواترة قال تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) آل عمران/ ٩٧ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان ، متفق عليه .

والحج باجماع المسلمين من القواعد الخمس التي بني عليها الاسلام .

قد يتوارد على ذهن البعض بأن الحج حديث العهد ولم يكن معروفا من قبل دعوة المصطفى عليه أفضل السلام والحق أنه عادة قديمة موجودة في الشرائع السابقة حتى لقد قيل : ان آدم عليه السلام حج عدة مرات ، وان جبريل أخبره بأن الملائكة كانوا يطوفون قبله بالبيت ، وادعى ابن اسحاق ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم إلا حج ، وادعى غيره انه ما من نبي إلا حج ، وكان الحج معلوما عند العرب ، وصار ذلك واجبا عليهم بامر ربهم منذ الخليل ابراهيم عليه السلام .

وكانوا في الجاهلية يعظمونه ، ويعدون سدانته وخدمته من أشرف القربات ، وأجل الصالحات ، وهذا شاعر قبيلة جرهم يتفجع من ترك قبيلته سدانة البيت الحرام بقوله شعرا :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت   نطوف بهذا البيت والامر ظاهر

الى أن يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر

ومن تاريخ تعظيم هذا البيت انه لما باعت قبيلة خزاعة سدانته التي كانت لهم بزق خمر عيرها كثير من الشعراء على ذلك وقال أحدهم :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت بزق خمر فبئست صفقة البادي

وكانوا يطلقون على مكان فيه حجر عليه أثر قدم ، اسم « مقام ابراهيم » ويتوارد أن هذا الاثر هو أثر قدم سيدنا ابراهيم عليه حينما اعتلى لبناء الكعبة ، واتخاذه محط رحاله حين يزور هاجر وابنها ، وأمر الله تعالى باتخاذ مقام ابراهيم تيمنا بهذا المكان الطاهر ، وتبركا بموضع وقف عليه رسول كريم ؛ هو أبو الانبياء الخليل ابراهيم ، كما قال تعالى في كتابه الكريم (**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**) البقرة/ ١٢٥ .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة منها ما فيه دليل صريح ، ومنها ما فيه قرينة قوية ، ومنها ما فيه إلهام بأن الحج كان معلوما وممارسا قبل الاسلام .

فلما جاء الاسلام فرضه ووضع احكامه وضوابطه ونواهيه لينهل منها المسلمون من كل فج عميق .

وللحج معنيان الاول هو المعنى اللغوي فقد وردت كلمة الحج في المعاجم اللغوية بمعنى : القصد للزيارة : يقال حج الينا فلان ، أي قدم ، ورجل محجوج ، أي رجل مقصود .

وجاء في مفردات غريب القرآن للاصفهاني :

أصل الحج ، القصد للزيارة .

وأما معنى الحج من الناحية الشرعية فهو أعمال مخصوصة تؤدي في زمان مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص .

أي القصد في أشهر معلومات الى البيت الحرام للنسك والعبادة فرضا كانت أو سنة » .

والحج فرض على الفور : أي أن على المستطيع أن يؤديه في أول عام استطاع فيه ويأثم بالتأخير لأن الله أمر المسلمين أن يبادروا ويسارعوا ، واتفق الأئمة على أن المبادرة للمستطيع أفضل .

ولقد نص بعض المالكية على أنه اذا كان للشخص صنعة أو تجارة وربحها على قدر كفايته وكفاية عياله ومن تجب عليه نفقتهم ولا فاضل من الربح يحج به أو علم أو ظن كسادها وعدم رواجها بالسفر ، فان الحج لا يلزمه أداؤه وهو على هذه الحال ، ولا ينبغي عليه أن يقتطع من رأس المال ما يحج به ، لأن الحج إنما يجب في الفاضل من الكفاية ، وبضاعته اساس في كفايته فلا يلزم بالنقص منها ليحج .

وذهب اكثر الأئمة المجتهدين الى أنه مفروض على التراخي لا على الفور اي أن للمستطيع أن يؤديه في أي عام من اعوام استطاعته ولا يأثم اذا أخره من عام

استطاع فيه أداءه .

والشافعية قالوا هذا ولكن بشرطين (الاول) أن لا يخاف فواته اما لكبر سنه وعجزه عن الوصول واما لضياع ماله ، فان خاف فواته لشيء من ذلك وجب عليه أن يفعله فورا ويكون عاصيا بالتأخير ، (الثاني) أن يعزم على الفعل فيما بعد فلو لم يعزم يكون آثما .

والحديث عن شروط الحج نقتطف من بين آراء الائمة اساسيات شروط وجوبه فمنها : **الاسلام** فلا يجب الحج على الكافر الاصلي ولو مرتدا ولا يصح الا اذا اسلم ، واذا مات بعد اسلامه قبل أن يحج ، حج عنه من تركته .

ومنها **البلوغ** فلا يجب على صبي ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة بعد البلوغ لقوله صلى الله عليه وسلم : « ايما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة اخرى » رواه الطبراني في الاوسط .

ومنها **العقل** فلا يجب على مجنون كما لا يصح منه حجه ، ومنها **الحرية** فلا يجب على من فيه رق . ومنها **الاستطاعة** .. والاستطاعة في معناها هي القدرة على الزاد والراحلة ، وامكان الوصول الى مكة ومواضع النسك امكانا عاديا لا يلحقه فيها مشقة بالغة .

والمراد بالراحلة هو ما يمكن الوصول عليه سواء كانت مختصة أو مشتركة بشرط أن يجد من يركب معه ولا بد أن تكون الراحلة هذه مهيأة بما لا بد منه في السفر .

وتعتبر القدرة على الراحلة هي : أن يتيسر للمرء ما يليق له عادة وعرفا ويختلف ذلك من شخص الى آخر .

اما القدرة على الزاد والراحلة فيشترط فيهما أن يكونا زائدين عن حاجاته ، كالدين الذي عليه والمسكن والملبس وعن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة غيابه الى أن يعود .

أما من يعزم على الاقامة بمكة المكرمة فلا يشترط القدرة على مئونة الاياب ، ومن لم يستطع لا يجب عليه الحج ، لان في الانفاق على من تجب نفقتهم فهو واجب على الفور لا يقبل التأخير ، وذلك لان الفرائض لا تؤدي بالآثام ، ومن اشد الأثام أن يضيع الانسان من تجب عليه نفقتهم ويهمل النفس التي أوجب الله إكرامها لا إهدارها ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » رواه احمد وابو داود عن ابن عمر .

وأما القدرة على الراحلة فهي بالنسبة لمن كان بعيدا عن مكة بثلاثة ايام فاكثر ، أما القريب منها فيجب عليه الحج ولو لم يقدم على الراحلة ، متى قدر على المشي وعلى الزاد الفاضل عن حاجياته الاصلية .

وفي ذلك نرى أن المقدرة على المشي تقوم مقام الراحلة ، فمن قدر عليه وجب عليه الحج ولو كان بعيدا عن مكة المكرمة بمقدار مسافة القصر او اكثر .

ومن لا يستطيع ركوب الراحلة أو لم يجد ما يستطيع ركوبه أو قدر على راحلة

مع شريك له بحيث يتعاقبان الركوب عليها مما فيه مشقة فادحة في السفر فلا يعد ذلك مستطيعا ولا يجب عليه الحج .

وعلى ذلك فلا وجوب على من لم يجد الراحلة كما أنه لا وجوب على من لم يجد الزاد . والذين يخرجون الى مكة بغير زاد او يتكل بعضهم على بعض بالزاد او يحجون ولا يتزودون فاذا قدموا مكة سألوا الناس . أو الذين يدعون التوكل من الاغنياء والفقراء فيدعون اموالهم ويخرجون بلا زاد ولا طعام أولئك قد نهوا عن ذلك وامروا بالزاد والراحلة فعلى كل حاج ان يتزود زادا من المال والطعام يحفظ عليه حياته ، وزادا من التقوى يكسبه الحياة الاخرى . وصدق الله : **(وإن الدار الآخرة لهي الحيوان)** العنكبوت/ ٦٤ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الاعمال فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور » رواه البخاري .

وجعل الله اشهر الحج موسما فقد قال عز وجل : **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب)** البقرة/ ١٩٧ .

ويقع الحج في السنة مرة واحدة ويكون في هذه الاشهر ، وكذلك يؤديها المسلم كفريضة مرة واحدة في العمر وما زاد فهو تطوع فمن ألزم نفسه بالشروع في الحج بالنية قصدا باطنا وبالاحرام فعلا ظاهرا وبالتلبية نطقا مسموعا فليؤد ما أوجب الشارع عليه ولينته عما نهاه عنه وليلتزم فيه الحدود . وليخلع عن رقبته ما طوقها من الحقوق وليصبح عزمه أن يكون حجه مبرورا وذنبه مغفورا وليقو على ظلمات باطنه لتستحيل نورا وعلى اوساخ ظاهره لتكون نقاء وطهورا ، روي عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج فحجوا » فقام الاقرع بن حابس فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ » فقال « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » مسلم وغيره .

وأوجب الله سبحانه وتعالى على الحاج أن يبدأ عمله بالاحرام من الميقات وهو المكان الذي حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمواقيت خمسة فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وقت (حدد) لاهل المدينة ذا الحليفة ، ولاهل الشام الجحفة ، ولاهل نجد قرن المنازل ، ولاهل اليمن يلملم فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير اهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة فمن كان دونهن فمهله من أهله وكذاك حتى أهل مكة يهلون منها . » متفق عليه والميقات الخامس ذات عرق وهي ميقات أهل العراق وبلاد العجم .

ويستحب لمن اراد الاحرام أن يغتسل قبله وأن يلبس ثوبين نظيفين ازارا ورداء ، وأن يتطيب في بدنه خاصة ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها : « كنت اطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه حين يحرم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت » متفق عليه وكان يصلي ركعتين تطوعا وينوي الحج قائلا « اللهم اني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني » .

ويلبي بما كان يلبي به رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وان يكثر من التلبية كلما علا شرفا من الارض أو هبط واديا او لقى ركبا .

ويحرم على المسلم الرفث والفسوق والجدال . والرفث كلمة جامعة لما يريده الرجل من اهله ، والفسوق كلمة تعني اتيان معاصي الله في حالة اقدامه بالحج كقتل الصيد وقص الظفر وشبيه ذلك ، وقيل الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى : (**أوفسقا أهل لغير الله به**) الأنعام/ ١٤٥ . وقيل التنابز بالالقاب ومنه قوله تعالى : (**بئس الاسم الفسوق بعد الايمان**) الحجرات/ ١١ . وقيل الفسوق السباب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » متفق عليه .

والجدال : المماراة والاختلاف ، كأن يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم عليه السلام أو المماراة في الشهور حسب ما كانت عليه العرب من النسيء .

كانوا ربما جعلوا الحج في غير ذي الحجة ، وتقف طائفة بعرفة وطائفة بالمزدلفة ويتجادلون في الصواب من ذلك . أو أن تدعي طائفة ان حجها أبر من حج غيرها . وشرع الله سبحانه وتعالى الحج الى بيته الحرام دعوة الى الموحدين في آفاق الارض . والمؤمنين بالله ورسوله في أقطار الدنيا يحققون بها في موقف الحج الاكبر الوحدة الانسانية . ويؤلفون العصبة المبعوثة الى الله من الامة المحمدية ويعملون على تجديد شباب الاسلام لاحياء موات الايمان ، ولم الشعث وجمع الشتات ، وبعث رواكد الهمم ، والقضاء على عوامل الفرقة ، وتمكين أواصر المحبة والانتفاع بالجهود الانسانية في شئون الدنيا والآخرة .

هذا الاجتماع الاكبر الذي فرضه الله على الناس يستجيب المسلمون اليه استجابة للعقيدة الاسلامية المستقرة في قلوبهم المسيطرة على عقولهم الجارية فيهم مجرى الدماء يشهدون في هذه المشاعر والمواقف مجد الاسلام وعزته وسمو الدين وسماحته ، وجلال الامان وقدسيته ، ويذكرون عندها القائد الاعظم والابطال السابقين من جند الله الذين جنح الوادي بتلبيتهم من الزمن السحيق لبيك اللهم لبيك ، هذه الخلائق المجموعة لميقات الله والامم المحشودة في حرم الله .

وفيها العالم والطبيب والصانع ورجل السياسة والاقتصاد والاداب والفنون انما حشدها الله وجمعها من أقطار المشرق والمغرب لتعظم شعائره في حرمه الآمن وحول بيته العتيق ولتنظر في الامة الاسلامية .

وتعمل على توحيد جهود الافراد والجماعات ، وتعالج بما وهبها الله من علم

وحكمة ومن ورأى امراض المجتمع وتوضح السبل والمسالك لسير القافلة الاسلامية موفورة الحرية ، محفوظة الكرامة سليمة العقيدة والخلق ، ولهذا شرع الله ذلك الاجتماع المشهود ومن اجل هذا يجب أن تصدر عنه الدعوة الصادقة الى الله ورسوله ، والتوجيه الصالح لهذه الامة الشاردة التائهة في مجاهل الحياة لا تعقل لها معقدا ولا تعرف وحدة ولا تحرص على خلق .

ويجب ان يعود كل الى وطنه يبين ما رأى ، وينشر ما سمع فذلك ادعى الى أن تتلاقى نظرة المسلمين الى مصالحهم في بقاع الارض ، وتتحد آراؤهم في مشاكلهم المذهبية والوطنية والجغرافية ، وتتضافر جهودهم لتحقيق الوحدة الشاملة والاستقلال المنشود في كل ما يتصل بشؤون الدنيا والآخرة .

يجب أن تنصرف هذه الوفود الى شعوبها واممها لتكون مشاعل هداية ، ورسل اصلاح ، قادة الى الخير دعاة الى المعرفة والمحبة والحق والعدل .

وضيوف الرحمن في كل عام مئات الألوف من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها هؤلاء جميعا يجب ان يكونوا الدعامة القوية في البناء الاسلامي والخلية الحية في الجسم الاسلامي ، وحملة اللواء للجيش الاسلامي ، ولكنهم يرجعون كما يذهبون قلوبهم شتى وبأسهم بينهم شديد .

فأي أمل يعلقه المصلحون المخلصون من المسلمين الى الله ورسوله على بعث هذه الأمة الاسلامية من جديد ، وقد استحال عليهم في موقف الحج ان يستبدلوا القطيعة الضاربة أطنابها بين المسلمين بالقربى من الرحم في الدين والوطن والجهالة المتفشية في المسلمين بالمعرفة الحقة والادراك الصحيح لشؤون الدنيا والآخرة والذلة المخيمة على المسلمين بالعزة الواجبة لله ورسوله والمؤمنين .

أي امل يعلقه المصلحون المخلصون على استرجاع هذه الامة الاسلامية لسالف المجد وسابق العهد ، وهذا الجمع المحشود في موقف الحج لا يزيل فوارق الاجناس واللغات والمذاهب ولا يطلق الروح الانسانية من عقال الاوهام ولا يخلص النفوس الاسلامية من أسر الشهوات ، ولا يشرح الصدور الاسلامية بحقائق الدين ، ولا يطهر القلوب الاسلامية من ادران النفاق ، ولا يغذي الفطرة الاسلامية بالسياحة والبذل والحق والعدل والهدى والرشاد .

أي أمل يعلقه المصلحون المخلصون على رفع الامة الاسلامية من ذلك الحضيض الاوهد والخروج بها من هذه الظلمات المتراكمة الى النور والحياة .

والوافدون على الله في كل عام لا يحققون مشروعية الحج ، لقد ابوا الانتفاع بحكمته فنزع الله المهابة منهم ، وقذف في قلوبهم الوهن ، وقطعهم في الارض أمماً ، قل فيهم الصالحون وكثر المارقون فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

والاسلام دعا الى الجماعة في كل صلاة ، والجماعة في كل جمعة ، والجماعة في العيدين ، ثم دعا الى الاجتماع في موقف الحج ، هذه الدعوة الى الصلوات الجامعة والمواقف الجامعة اراد الاسلام بها تحقيق الوحدة الشاملة والمودة الخالصة

وتنمية العاطفة الاجتماعية وتقوية الغريزة الاصلاحية في نفوس المسلمين .

اراد الاسلام أيضا بهذه الجماعات والاجتماعات أن تكون السبل الواحدة التي يسلكها المسلمون ، فاذا هم قد تعاونوا وتآلفوا وتناصروا وتآزروا على اختلاف الالوان والمشارب وتباين الاجناس والطبائع وتنائي الديار والاقطار .

ولكن المسلمين أجابوا داعي الله في صلواتهم الجامعة ، ومواقفهم الحاشدة اجابة آلية آمنت بها ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، تعبت فيها اجسامهم ولم تسم بها أرواحهم انهم ينصرفون من هذه الجماعات والاجتماعات ، وفيهم العالم الذي يكتم علمه أو لا يعمل به .

والحاكم الذي انحرف عن العدل واقر الظلم والبغي ، والوالي الذي ثقل عليه الحق فلم يجهر به وخف عليه الباطل فدعا اليه وانقذه ، والقوي الذي يستذل بقوته الضعفاء والغني الذي يشح بماله على الفقراء ، والمعلم الذي عهد اليه بالنشء فلم يف بعهده ، والرجل الذي يؤتمن على الودائع فيخون الأمانات ، والزوج الذي يستغل مال زوجته او جمالها في غير طاعة الله والمرأة الغادرة التي تخون زوجها في ماله ونفسها انهم ينصرفون من هذه الجماعات الخ .. وفيهم الولد العاق والفتاة الجامحة ، وفيهم الذي يشعل نار الفتن ويفرق شمل الجماعات ويقطع أوصال الارحام ويجاهر الله بالعدوان .. يشهد هذه الصلوات الجامعة وتقف هذه المواقف الحاشدة ، هذه الطوائف الباغية الماكرة لم ينفعها ايمانها ، وقصرت بها طاعتها عن الوصول الى الله والنفاذ الى نفع الناس وذلك شأن الايمان الناقص وشأن الطاعة الزائفة ، ثم يحسب المسلمون بعد هذا كله أنهم قد أرضوا ربهم . وصدقوا برسولهم وعملوا بما في كتابهم ، وتأدبوا بآداب شرعهم ، كلا والله ولو نجحوا في ذلك وأفادوا منه لعم سلطانهم الأرض ، وفاض هديهم على المشرق والمغرب ودانت لهم امم الكفر وانار الله بهم ظلمات الضلال ، ونشر الله بهم الامن والسلام في العالمين .

فعلى هذا الجمع العمل على النجاة من هذا الطوفان المغرق في الشهوات والموبقات والخلاص من هذا الاسر المهلك بقهر النفس ونبذ عبادة الهوى ، وارغام انف الشيطان . وطاعة الولاة الناصحين واجبة والاسترشاد برشد العلماء العاملين والانتفاع بجهود أصحاب المواهب المخلصين ، فان ذلك ما يجمع القلوب على الهدى ويوحد الالسنة والايدي والعقول للخروج بالأمة المحمدية من هذا المأزق ، ورفعها الى الذروة وتمكينها من اسباب النجاح والفلاح وتحقيق العزة لها بين شعوب الدنيا وفي ذلك نصر الله : (**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/ ٧ .

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ، قال : لله وكتابه ، ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم عن تميم والبخاري عن ثوبان مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقفة تأمل

عاقبة الظلم

○ الظلم سبب كاف لهلاك قوم بأكملهم .. ولقد قص علينا القرآن الكريم خبر قوم اخرجهم ظلمهم من جنات وعيون ، ونعيم ومقام كريم .. ثم كان مصيرهم الغرق ليكونوا عبرة وعظة لمن يجيئون بعدهم .

○ القوم هم قوم فرعون .. تحدوا نبي الله موسى .. وقد ناداه الله ان يذهب الى القوم الظالمين .. قال تعالى : (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون) .

○ وتجبر فرعون وقومه ، ونشروا الفساد والظلم وتحدوا رسالة السماء ، ورسول الله اليهم ، فكانت العاقبة : (فأخرجناهم من جنات وعيون.وكنوز ومقام كريم) بسبب ظلمهم .. كان ما هم فيه من نعيم ميراثا للقوم الذين ساروا في ركاب المرسلين : (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) .

○ ويسدل الستار على نجاة موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه .. قال تعالى : (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين • ثم أغرقنا الآخرين) .

○ ومع ذلك ـ وكما هو شأن اليهود دائما ـ تمردوا على نبيهم ، وكفروا بعد ايمان ، وعبدوا العجل ، فانزل الله بهم من البلاء والعذاب ما لم ينزله بغيرهم ، وان ربك لهو العزيز القادر على الانتقام من اعدائه ، الرحيم الذي يشمل اولياءه بواسع رحمته وفضله .

○ وهكذا تكون عاقبة الظالمين دائما في كل العصور والأزمان ـ فما بالنا لا نتدبر قصص القرآن لنتجنب اسباب الهلاك .. ولتكتب لنا السلامة ، وليتحقق لنا النصر على الاعداء ؟

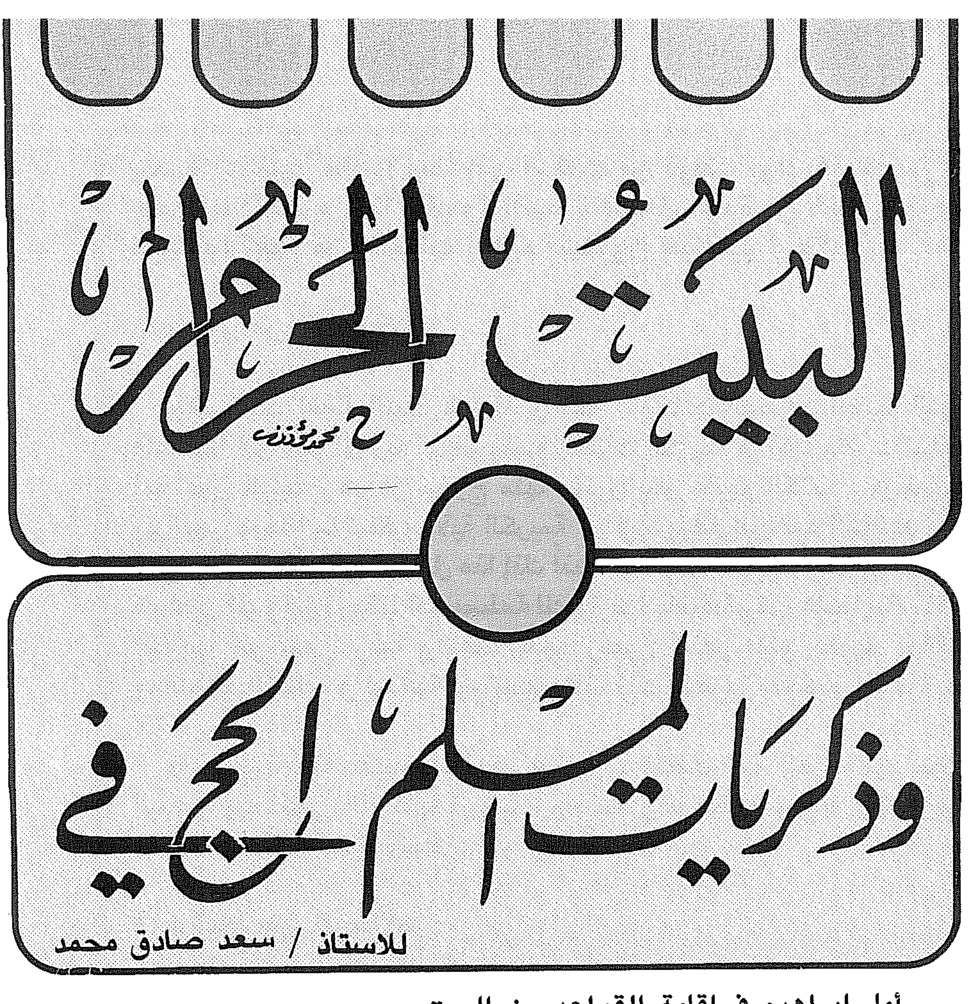
○ أليس من الظلم ان يشاهد المسلمون ـ ويسمعون ـ هذا الدمار والتخريب والتقتيل والتشريد الذي يقع على اخوة لنا مسلمين في لبنان ؟ اليس من الظلم ان يقف الفلسطيني واللبناني امام عدو المسلمين الاول اسرائيل .. والعرب والمسلمون يسدون عين الشمس وكأن الأمر لا يعنيهم !!

○ بل نقول ان ظلمنا هنا وهناك على امتداد الساحة الاسلامية يقع على الافراد بل على شعب بكامله من حكومته « الوطنية » ، « التقدمية » « الثورية » .. فماذا نتوقع من نتائج ؟!

○ يقول رسولنا صلى الله عليهوسلم : «ما من مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»

○ فالبدار البدار يا زعماء المسلمين الى نصرة المظلومين .. والوقوف في خندق المجاهدين والدفاع عن الدين ، والعرض ، والوطن ، والشرف ، والكرامة ، فوجودنا مهدد ، ومسئوليتكم امام الله عظيمة . ودعاؤنا ان يحقق الله عز الاسلام على ايديكم .. ويبدل هواننا على الناس عزا ومجدا ، وذلنا شرفا ورفعة ..

اللهم آمين



أمل ابراهيم في اقامة القواعد من البيت :

يعود تاريخ حج بيت الله الحرام الى أيام ابراهيم عليه السلام ، حين هاجر ومعه ابنه اسماعيل من العراق هربا من النمروذ ، طاغية العراق ، وحط رحاله في مكة بإذن الله ليقيم القواعد من البيت الحرام هو وابنه اسماعيل .

كان أمل ابراهيم الخليل حين قال : (**إني ذاهب الى ربي سيهدين**)الصافات / ٩٩ وهاجر الى واد غير ذي زرع تحوطه جبال ووهاد وكثبان .. كان يأمل ان تنشأ أمة ـ كما أراد الله ـ في هذا المكان القفر ، تكفر بكل ارباب الأرض ، وتخلص العبودية لله وحده لا شريك له ، ولا تخضع لسواه :(**واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**)الحج / ٢٦

وبعد ان وصل ابراهيم بزوجته هاجر ووحيده اسماعيل الى مهاجرهم الكريم ، قال يؤكد ما اراده الله من اقامة البيت ، وهو عبادة الله وحده ،

وتعمير الأرض ، قال :(**ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**)ابراهيم / ٣٧

○ رسول من امة العرب :

ولقد كانت اقامة البيت الحرام في مكة .. وكانت الدعوات الطيبة التي هتف بها ابراهيم الى ربه ـ وهو يضع اللبنات الكريمة في أكرم بناء ـ لتنشأ امة حول البيت ، هو ان يخرج منها رسول يتلو عليهم الكتاب ، ويعلمهم ويزكيهم ، وهذا ما تحكيه الآية الكريمة : (**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**)البقرة / ١٢٧ ـ ١٢٩

واستجاب الله لدعاء ابراهيم الخليل ، فقامت امة العرب من حول البيت ، واصطفى الله منها قريشا ، واصطفى من خيار بطونها وعشائرها محمدًا صلى الله عليه وسلم .

○ ارتباط بين الرسالات :

ونلاحظ وجود ارتباط بين رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالة ابراهيم عليه السلام ، فقد جذب الحنين رسول الله الى مكة التي بها بيت الله (الكعبة) ، وأخذ يقلب وجهه تجاه المشرق (بيت الله الحرام) حنينا وتشوقا الى مسقط رأسه ، وموطن الكعبة ، ومنزل ابراهيم الخليل ، وقد قص علينا القرآن قصة حنين النبي الى البيت الحرام بقول الله تعالى : (**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) البقرة / ١٤٤

وحين جاء الرسول الأمر حول الرسول قبلته في الصلاة من بيت المقدس الى البيت الحرام . وهنا نجد الحقد اليهودي يتحرك لاثارة الفتنة ـ كعادتهم في كل زمان ومكان ـ فعندما حدث التحويل خاضوا في الأمر ، قائلين ان هذا التحويل هزة في رسالة النبي ، ودليل على عدم استقرارها ، وقالوا كما يحكى عنهم القرآن :(**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**) ؟.. فرد الله على سفاهتهم ، وسوء تفكيرهم بقوله :(**قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**) البقرة / ١٤٢

لم يرض اليهود عن ترابط الرسالتين بهذا التحويل الذي تم قبل فتح مكة ، وكان ترابطا لا بد منه ، فهو ترابط بين أهل الأرض والسماء .. رباط يصل أهل الأرض برب البيت الحرام ، لتتجه قلوبهم .. ومشاعرهم .. وأفكارهم .. ومقاصدهم نحو هذا البيت الذي جعله الله مثابة للناس وامنا ، وليعود الحفيد محمد صلى الله عليه وسلم - الذي نزلت عليه الرسالة الخاتمة - بأمته العربية الى الجد ابراهيم الخليل عليه السلام صاحب الرسالة الاولى . وجدير بالذكر ، انه حدث ارتباط سابق بين الرسالات السماوية ، وبين السماء .. بين رب البيت الحرام ، وذلك حين اسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، من مكة .. الى المسجد الاقصى حيث يوجد بيت المقدس ، ثم عرج به الى السماء ، فأراد الله ان يبين للناس بهذا الترابط ، ان مهابط الوحي كلها : مهبط الوحي الأول الذي تلقاه ابراهيم واسماعيل ، ومهابط الوحي الثاني الذي تلقاه موسى وعيسى ، ومهبط الوحي الثالث الذي تلقاه محمد لتكملة الرسالات السماوية السابقة عليه .. أراد الله ان يبين ان هذه المهابط جميعها مهابط لرسالة واحدة ، في أصولها ، وعقيدتها ، وغاياتها ، ودعوتها ، وإن اختلفت ازمنتها ، وتعددت رسلها .

اذن ، فالترابط الذي حدث بتحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس الى البيت الحرام ، هو تأكيد للترابط السابق الذي حدث بين مهابط الوحي .

○ ذكريات المسلم في مناسك الحج :

وعندما يخرج الحجاج قاصدين الأراضي المقدسة لاداء فريضة الحج ، سيذكرون قول الله لخليله ابراهيم عليه السلام :(**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**)الحج / ٢٧ - ٢٩

ولهذا يرددون - وهم متوجهون الى هذه البقاع المقدسة - ما علمه لهم رسول الله : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

وسيذكرون - وهم متوجهون الى البقاع المقدسة - انهم ذاهبون الى البلد الأمين ، الذي خلع الله عليه الأمن والطمأنينة ، استجابة لدعوة ابيهم ابراهيم ، واعلى شأنه ، وعظم قدره ، وذلك حين اقسم به ضمن منازل الوحي ، حيث قال (**والتين والزيتون . وطور سنين . وهذا البلد الأمين**)التين / ١ - ٣

وسيذكرون ان هذا البلد الذي يقصدونه ، هي أم القرى التي خرج من

شعابها وجبالها شعاع الايمان ، ونور الهدى ، وصوت الحق والتوحيد ، فكان ذلك ايذانا بذهاب عهد الشرك والباطل والوثنية ، وايذانا بمجيء عهد الاسلام والتوحيد ، فعاد به الانسان الى كرامته وشخصيته ومكانته ، وذلك حين نزل القرآن على نبيه محمد ، فأنقذ البشرية مما كانت تعانيه من الاستعباد والظلم والقهر والضياع ، :(**وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها**) الشورى / ٧

وسيذكرون ان هذه البلدة ، هي بلد السلف الصالح ، والرعيل الاول من المؤمنين الذين آمنوا بالله ، وبالدعوة المحمدية ، وواجهوا - حين اعلنوا ايمانهم واسلامهم - اقسى ما واجهته البشرية من عذاب واضطهاد وآلام في تلك العهود .. وان أبناء هذه البلدة باعوا انفسهم ، وتركوا اموالهم في سبيل الله ، وهاجروا من مكة الى المدينة مستعذبين آلام فراق الأهل والولد وكل شيء في الحياة في سبيل الهجرة الى الله ، ونصرة دينه .. وان هذا البلد ظل ابناؤه اوفياء له ، وظلوا محتفظين له بالوفاء والحب والتقدير ، رغم ما أصابهم من محن التشريد والاغتراب .. وانه عندما تيسر لهم طريق العودة اليه ، وفتحت لهم أبوابه ، دخلوا فاتحين منتصرين ، حيث يقول الله :(**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا على ربهم يتوكلون**)النحل / ٤١ و ٤٢ .

هذه الذكريات ستحضرهم وهم على أبواب مكة ، وحينئذ يشعرون انهم على صلة روحية بآثار ومكان أسلافهم الأوائل ، وهنا تأخذهم روعة الذكريات الى ماض عريق عزيز مجيد ، فتوحى اليهم هذه الذكريات العزيزة بالتجرد من مظاهر الدنيا وزخارفها ، ويخلعون انفسهم مما عرفته الدنيا من طبقات وتفاوت ومراكز ، ويعودون الى ربهم ، ويدخلون في وحدة العقيدة ، ووحدة المظهر ، فيظللهم شعور واحد ، وايمان واحد ، بأنهم جميعا أمام ربهم الواحد الذي يعاملهم هنا سواسية كأسنان المشط ، فما زالوا يهتفون ملبين تنفيذا لأمر الله وشرعه : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

وفي هذا المكان - البيت الحرام - تتلاشى ايضا الحواجز التي بينهم من فقر وغنى ، وقوة وضعف ، فيطوفون . متذكرين قول الله : (**وليطوفوا بالبيت العتيق**)وتحضرهم الذكريات حين يندفعون الى الصفا والمروة تنفيذا لأمر الله : (**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم**) البقرة / ١٥٨

وهنا - بين الصفا والمروة - يتذكرون هاجر زوج الخليل ابراهيم عليه السلام ، حين كانت تهرول وتجري هنا وهناك بحثا في هذا المكان عن ماء

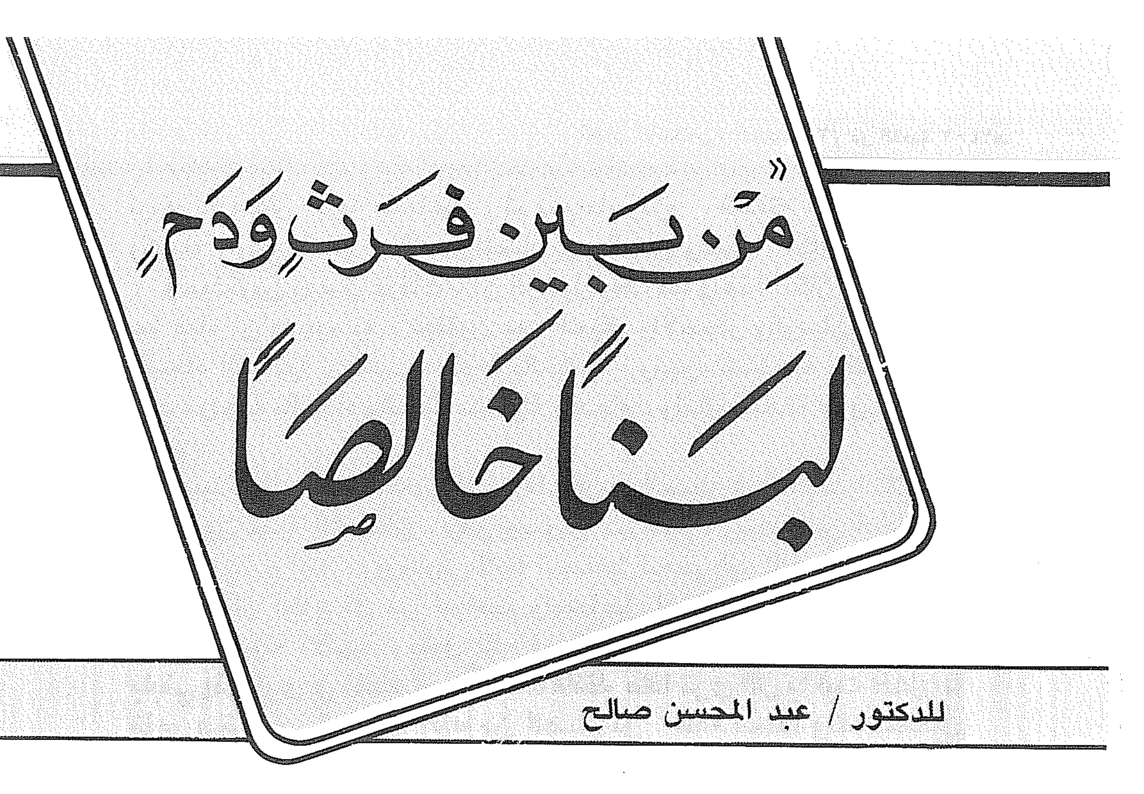
تروي به عطش ابنها اسماعيل ، ثم نبع ماء زمزم ، فسقته ، ورطبت كبده وكبدها ، ونبع الخير هناك ، واتصل بهم الناس وعمروا المكان .

وسيذكرون وهم في عرفات ، ان الرسول وقف هنا في هذا المكان ، ودعا الله بما شاء ان يدعوه به ، فيقفون بين الجبال والاحجار والوديان .. وتحت السماء الصافية . بقلوب مملوءة بالخشية ، ووجوه شاخصة بالضراعة ، وايد مرفوعة بالرجاء والسنة مشغولة بالدعاء ، وآمال صادقة في رب رحمن رحيم .

وسيذكرون حين يندفعون الى عرفات لرمى الحجار في العقبات الثلاث .. سيذكرون قصة الشيطان ، وهو يوسوس لابراهيم ، ويبعده عن الخضوع لأمر الله بذبح ابنه ، ويوسوس لابنه اسماعيل ليعصى امر الله بذبحه ، وكان ذلك بعد ان أطاع كل من ابراهيم واسماعيل امرربه في الذبح ، واستعدا لتنفيذ المشيئة الالهية ، يقول الله في هذا : **(فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين. وناديناه أن ياإبراهيم.قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين .إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم)** الصافات / ١٠٢ ـ ١٠٧ ، سيذكر الحجاج هذا الموقف العظيم من ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل ، وهمايرجمان ابليس اللعين ، ويطاردانه من ساحتهما ليبتعد عنهما بوسوسته واغوائه ، فيعلنون تصميمهم على نبذ عوامل الشر ، ونزعات النفس والهوى ، حين تأتى لهم من وسوسة الشيطان واغرائه واغوائه ، فينغص عليهم حياتهم ، ويروع امنهم .

وسيذكرون ايضا وهم في ميدان الرمى ، نبأ التبليغ الالهي ، الذي قام به على رضى الله عنه ، نائبا عن الرسول ، وأبو بكر على رأس حجيج المسلمين لأول مرة بعد الفتح الأكبر « فتح مكة » ذلكم التبليغ الذي أعلنت به كلمة الاسلام النهائية ، والذي وضع حدا لعلاقة المشركين بالبيت الحرام ، وسجلته سورة براءة أو التوبة يقول الله تعالى : **(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله)** التوبة / ١ ـ ٣

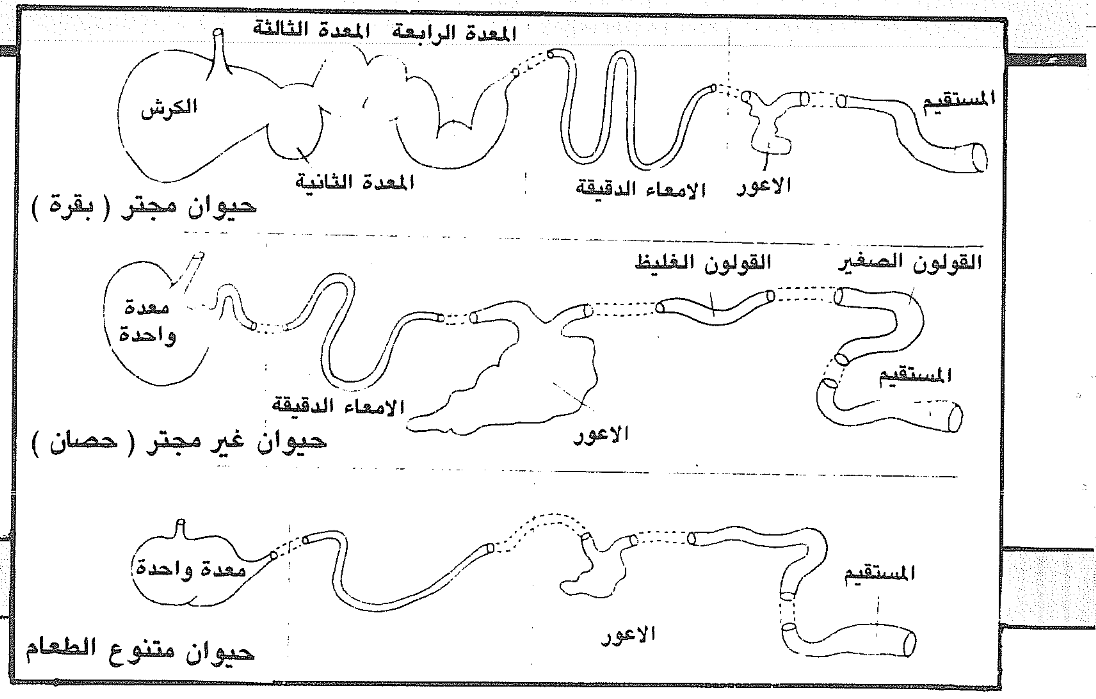
هذا هو بيت الله الحرام « الكعبة » .. وهذه هي المعانى الحقيقية لمناسك الحج تحدثنا عنها ، ليتذكرها ويعيها كل من يريد ان ينعم بآثارها الطيبة ، ويتزود بمنافعها وثمارها ، ويعود منها منشرح الصدر ، هادىء البال ، قرير العين ، مطمئن القلب ، حائزا لرضا الله ، حاملا معه خير زاد : **(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب)** البقرة / ١٩٧



وقفت طويلا ، وتأملت كثيرا في معاني آية من آيات القرآن الكريم هي قوله تعالى : (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**) النحل/ ٦٦ ، وهي الآية الوحيدة في القرآن التي تعرضت للفظة اللبن ، بجوار آية اخرى ذكرت لبن الجنة : (**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين**) محمد/ ١٥ .

وقد رجعنا الى بعض التفسيرات التي تناولت الآية بالشرح والتحليل ، لنستأنس بها ، فأعطتنا معاني جديدة تتوافق مع ما نعرفه من طبيعة الفرث الذي نسب الى الأنعام ، لكننا لم نحظ من هذه التفاسير الا بالقليل ، ففي تفسير الأنعام يجيء انها الابل والغنم والبقر ، وفي تفسير الفرث تذكر تلك المراجع انه « الأشياء التي اكلها الحيوان وانهضمت في معدته بعض الانهضام » .. وفي تفسير آخر « هو ما يحتويه الكرش » ، وهي - على أية حال - تفسير لمعنى الفاظ ، دون ان تشير الى لب الحقيقة التي خصتها لتجعل لنا فيها عبرة .

لكن لا بد ان نستدرك ونقول : ان الذي عولنا على تقديمه في هذه الدراسة عن معنى العبرة التي يمكن ان نستقيها من ربط الأنعام بالفرث والدم واللبن ، ليس الا اجتهادا منا ، فان كنا قد اصبنا ، فهذا توفيق من الله : (**الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**) الاعراف/ ٤٣ ، وان اخطأنا ، أو جانبنا الصواب ، فان الله غفور رحيم .



شكل توضيحي للجهاز الهضمي لثلاث حيوانات مختلفة لاحظ ان الحيوان المجتر له اربع معدات تبدأ بالكرش وتنتهي بالمعدة الرابعة والحصان حيوان غير مجتر ويعيش ايضا على العشب لكنه بمعدة واحدة ، وفي اسفل الصورة الجهاز الهضمي لحيوانات متنوعة الطعام .. وكل جاء لما هو ميسر له .

بين حقيقتين معروفتين

فواضح من الآية الكريمة ، ومن التفاسير المتاحة لالفاظها أن الانعام عموما هي الحيوانات المجترة ، اي التي تأكل العشب او الكلأ على عجل ، ثم تحتفظ به في كروشها ، وتعيد مضغه بعد ذلك بتأن واضح في عملية يطلق عليها اسم الاجترار ، والعشب أو الحشائش المجترة هي التي تعرف باسم الفرث الذي ينتقل بعد ذلك من كرش الحيوان الى معدته الثانية والثالثة والرابعة ، ومنها الى الامعاء ، حيث يتم امتصاص نواتج الطعام المهضوم .

ورغم ان هناك حيوانات اخرى كالحمير والخيل مثلا ، تعيش على العشب ، الا ان احدا لا يستسيغ البانها ، انما اللبن المستساغ حقا هو ما نحصل عليه من الحيوانات المجترة كالماعز والاغنام والابل والغزلان والبقر والجاموس ، اي ان هناك علاقة واضحة بين لبن مستساغ مصدره فرث ، ولبن غير مستساغ ، لا فرث له ، ولا يهم بعد ذلك مصادر الطعام التي تحصل عليها الحيوانات الآكلة للعشب ، انما المهم هو الفرث الذي جاء من اجترار العشب ، ليتحول الى لحوم ودهون والبان يختلف طعمها ، واحيانا لونها ، باختلاف نوع

الحيوان .

هذه واحدة ـ أما المسألة الثانية التي نود توضيحها ، قبل ان نتعرض لاساسيات الموضوع الذي اشارت اليه الآية ، هي اختلاف التكوين العضوي او التشريحي للجهاز الهضمي بين الحيوانات الآكلة العشب ، وبين غيرها من حيوانات تعيش على مصادر متنوعة من الطعام ، وعلى رأسها الانسان بطبيعة الحال ، او هي ما نعرفه باسم الحيوانات الثديية ، او المنتجة للبن ، لكن المسألة الاهم انك لو فحصت الجهاز الهضمي للحيوانات التي تعيش على الرعي ، لوجدت اختلافا كبيرا بين الحيوانات المجترة وغير المجترة ، فالبقرة هنا غير الحمار ، بمعنى ان البقرة لها اربع معدات « بما في ذلك الكرش » وللحصان او الحمار معدة واحدة (انظر الشكل للتوضيح) ، ويعني ذلك عموما ان الجهاز الهضمي المناسب ، قد جاء للطعام المناسب ، لينتج اللبن المناسب ، اي ان كل شيء قد قدر من البداية بحكمة بالغة تدعو للعبرة والتأمل .

لكن العبرة الواضحة تكمن في الفرث ذاته ، وما يتمخض عنه من مركبات حيوية لا نكاد نحصيها عدا ، ان لبن انثى الانسان مثلا مشتق من اطعمة مختلفة نعرفها تمام المعرفة ، لكن لبن انثى حيوانات المرعى مشتق من اعشاب ، وقد تكون هذه الأعشاب جافة في مواسم خاصة ، ومع ذلك تعطي ، (**لبنا خالصا سائغا للشاربين**) والفرق ـ كما ترى ـ واضح بين غذاء للانسان فيه تنويع كثير ، وبين عشب للأنعام هو بالنسبة لنا لا يسمن ولا يغني من جوع ، فلا أحد مثلا يستطيع ان يعيش على ما تعيش عليه حيوانات المرعى ، والا كان مآله الضعف والهزال والموت ، ومع ذلك ، فكل مخلوق قد جاء لما هو ميسر له ، او ان ما نحسبه نحن بمعاييرنا عسرا ، هو بالنسبة لغيرنا يسر ، ولهذا العسر في الأعشاب يسر للأنعام ، وله عوامل تشرف عليه ، وتضيف اليه ، فيتحول الزرع الى ضرع .

عملية الهضم في فرث الأنعام

ونحن بطبيعة الحال نأكل الخضراوات طازجة او مطهية ، لكننا لا نستفيد من مكوناتها الا بأقل القليل ، لأن بروتيناتها ودهونها وسكرياتها ونشوياتها جد قليلة ، لكنها مع ذلك تحوي بعض العناصر والفيتامينات الهامة ، الا ان اكثر ما تحتويه الخضراوات والفواكه هي مواد سليلوزية واشباه سليلوزية ، وهذه تمر في امعائنا دون هضم يذكر ، وتخرج مطحونة في الفضلات ، وسبب ذلك اننا لا نمتلك في جهازنا الهضمي الخمائر أو الانزيمات التي تهضم السليلوز ، وتحوله الى سكريات واحماض عضوية لها في حياتنا شأن يذكر ، لكن الانعام تستطيع ذلك ، بل واكثر من ذلك ، وهي لا تهضم السليلوز بذاتها ، فليست لها

عصارات او خمائر لتقوم بهذا العمل ، لكنها « تستعير » خمائر غيرها ، لتجري على الألياف النباتية عمليات هضم واذابة ، فيتحول السليلوز الى جزيئات سكرية كبيرة ، ثم تُشطر الى ما هو اصغر واصغر ، الى ان تتحول الى جزيئات بسيطة يمكن امتصاصها ، والاستفادة بها في كثير من عملياتها الحيوية .. هذه الجزيئات تتمثل في السكريات والاحماض العضوية .

لكن .. ماذا نقصد حقا بقولنا ان حيوانات المرعى تستعير خمائر غيرها ؟... وهل يعني ذلك انها تستعين بكائنات اخرى ؟ .. وما هي طبيعتها ؟.. ولماذا لا نراها ؟

الواقع ان الفرث يحتوي على جيوش من كائنات دقيقة غير منظورة ، ولهذه الكائنات انواع كثيرة جدا ، وهي التي تقوم اساسا بعملية الهضم والاذابة ، ولكي يتيسر لها عملها ، فعلى الحيوان المجتر ان يقطع لها الانسجة النباتية اربا اربا ، او يطحنها في فمه طحنا ، لتتحول الى عجينة ذات الياف مشتتة ، وكلما طحن جرعة ، أعادها الى كرشه ، ودفع الى فمه جرعة اخرى ، وهكذا تستمر تلك العملية - على ما رعى الحيوان - لساعات طويلة ، وهو في اجتراره لطعامه لا يهضم ، بل يقطع الألياف ، ليسهل على جيوش الميكروبات عملها ، اذ كلما كان القطع والطحن اكفأ ، كان عمل الميكروبات في الهضم اتقن ، والفائدة في الفرث اعظم .

وليس لهذه العملية التي تقوم بها الأنعام مثيل في اي حيوان آخر ، وربما كانت العبرة تكمن هنا ، لكن العبرة او الحكمة الكبرى تكمن بعد ذلك فيما حققته العلوم التجريبية ، او ما كشفته من اسرار تستحق ان تقدم في هذه الدراسة ، ليعلم من لا يعلم كيف دبرت الامور وقدرت ، لتستفيد بها الأنعام فائدة لا يجاريها فيها اي حيوان آخر .

بين فرث ومعامل

ولقد تساءل العلماء بدهشة : كيف تعيش هذه الحيوانات على الاعشاب ، وتستفيد بها بكفاءة تامة في حياتها ، دون ان تظهر عليها اعراض سوء التغذية ، كما يحدث مثلا للانسان الفقير في الطعام ؟

والتساؤل - في حد ذاته - بداية هامة في الكشف عن اسرار الكون والحياة ، لكن لا يكفي ان تسأل وتتعجب وتسكت ، بل لا بد من وضع تساؤلاتك في إطار التجربة العلمية ، لأنها هي التي تميز الغث من السمين ، ولقد أجرى العلماء مئات وآلاف البحوث عن مكونات هذا الفرث .. بعضها يتناول مركباته الكيميائية ، وبعضها الاخر ينصب على اكتشاف مكوناته الميكروبية ، ولقد حاول العلماء محاولات كثيرة وشاقة ، ليعزلوا ميكروبات الفرث واحدا واحدا ، ليدرسوا كل نوع منها على حدة ، علهم يرسمون للعملية صورة متكاملة ، ورغم انهم قدموا

لهذه الميكروبات بيئات غذائية غنية ، وتماثل الى حد بعيد بيئتها في الفرث ، الا انها اظهرت عنادا شديدا ، وكأنما أي شيء آخر لا يرقى الى ما ترقى اليه بيئة كرش الحيوان ، لكن الميكروبات اظهرت بعض الاستجابة ، عندما امدوا بيئاتها الغذائية الصناعية بجزء من محتويات الفرث المعقمة « اي الخالية من الميكروبات » .. المهم ان العلماء قد تعلموا الكثير ، وادركوا ان الفرث يحتوي على عشرات ، بل مئات الانواع من الكائنات الدقيقة ، وكان اهمها البكتيريا ، يليها الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، وبعض انواع فطر الخميرة .

ان الأمر يبدو وكأنما الحياة الدقيقة في الفرث ، اشبه بغابة متوازنة بنباتها وحيوانها وطيرها وزواحفها وحشراتها ، وان ما فيها يعيش على ما فيها ، وكأنما قدرت ارزاقها تقديرا ، لكن دراسة بيئة الغابة ميسرة ، في حين ان دراسة بيئة الفرث تنطوي على متاهات كثيرة ومعقدة ومتشابكة ، والحق انها اعيت العلماء حتى يومنا هذا .. فربما يعيش ميكروب على ما ينتجه في الفرث ميكروب آخر ، ثم يليه آخر وآخر ، وعشرات ، بل مئات .. فنحن في الواقع امام حياة غير منظورة ، وانتاج كيميائي غير منظور ، ودفع غير منظور ، وهذا وغيره يحتاج الى تحليلات كيميائية ، ومزارع ميكروبية ، وعقول ذكية لتخطط وتجرب وتجمع وتستنتج ، ونحن هنا لا نبالغ ، لأن لكل نوع من هذه الميكروبات بروجرامه الوراثي ، وبهذا البروجرام يحيل المادة الخام الى مادة حياة ، وهذه وحدها تنطوي على مئات العمليات الكيميائية التي تسير في سلسلة من الخطوات المنظمة اعظم تنظيم : واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

لكن الفرث لا يحتوي على نوع واحد من الميكروبات ، بل هناك عشرات او مئات ؛ وكل نوع يقوم بمئات العمليات او التفاعلات الكيميائية ، وحصيلة كل هذا معمعة كيميائية مفعمة بالاسرار ، وكانما ليس لها من نهاية او قرار وطبيعي اننا لا نستطيع ان نتعرض هنا لمثل هذه الأحداث التي تجري في الخفاء ، والتي كشف العلماء عن بعض اسرارها الحجاب ، لكن كل ميكروب - والحق يقال - بمثابة معمل كيميائي دقيق غاية الدقة ، ومع ذلك فهو يجري من العمليات الكيميائية ما هو اكثر كما ونوعا وسرعة ودقة مما يجري في اي معمل كيميائي متقدم من صنع الانسان .

فكرة الفرث سبقت افكارنا

لكن ... ماذا يعني كل هذا بالنسبة للانعام عامة ، والألبان خاصة ؟

يعني - في الواقع - الكثير ، ولكي نلم بعناصر الموضوع ، كان من الأوفق ان نشير اولا الى تلك البحوث التي يجريها العلماء ، لكي ينتجوا البروتينات من تربية او زراعة الميكروبات في مستودعات او احواض

كبيرة مجهزة ببيئات غذائية مناسبة ، فالمعروف ان هذه الكائنات تتكاثر بسرعة رهيبة طالما هي تحصل على غذائها باستمرار ، فالميكروب يتكاثر كل ٤٠ او ٣٠ دقيقة ، او حتى كل ربع ساعة ، ويعني هذا ان الميكروب - في المتوسط - يعطي فردين بعد نصف ساعة ، واربعة بعد ساعة ، وثمانية بعد ساعة ونصف ... وهكذا يسير في متوالية عددية مضاعفة ، ليصبح في غضون يوم واحد بلايين فوق بلايين من الكائنات ، ولو استمرت هذه العملية ليومين اثنين بذلك المعدل ، لنتج لدينا بلايين فوق بلايين من اطنان المحصول الميكروبي ، لكن ذلك لا يحدث ، لأن هناك عوامل تحد من استمرار التكاثر بهذه السرعة ، ومع ذلك ، فلو ان الانسان قد نجح في السيطرة على هذه العملية ، فانها تمده بفيض هائل من البروتين الميكروبي الذي يصلح علفا للحيوان ، ان لم يكن غذاء للانسان ،، خاصة في عالم تنقصه الموارد البروتينية اللازمة لامداد مئات الملايين من الافواه الجائعة .

وطبيعي ان هذه المزارع الميكروبية تحتاج لصناعات ضخمة ، وصيانة مستمرة ، وموارد غذائية دائمة ، ومعامل للتحليل ، وعمالة للاشراف والتجهيز ، وطاقات للاستهلاك ... الى آخر هذه القائمة من التجهيزات اللازمة لأي مشروع كبير ، لكن هذه المشروعات لم يكتب لها النجاح المطلوب ، رغم البحوث الكثيرة التي اجريت في هذا المجال .

لكن الانعام قد حققت هذا الهدف قبل ان يظهر الانسان ، بعشرات الملايين من السنين ، ودون ان تلجأ الى اقامة المعامل ، واجراء البحوث ، فكروشها هي المعامل الطبيعية التي يجري كل شيء فيها بحساب ومقدار ، والفرث هو البيئة الصالحة تماما لتكاثر الميكروبات بأعداد رهيبة ، فكل شيء مهيأ حقا لهذا التكاثر والتفاعل ، فمن درجة حرارة مناسبة ، وحضانة ملائمة ، وميكروبات متوازنة ؛ وعمليات كيميائية متتابعة ، ونواتج غذائية متكاملة ، الى آخر هذه الامور المقدرة تقديرا مذهلا ، وليس ادل على ذلك من ان العلماء قد فشلوا في تقليدها ، ربما لانهم لم يلموا بكل تفاصيل هذه الاحداث المتداخلة ، ولو وصلوا ، لفعلوا وقلدوا ، لكن الفرث ينطوي على تحديات تحتاج الى كثير من البحوث والانجازات .. وهنا تكمن العبرة التي اشارت اليها الآية الكريمة .

ثم ان الانعام لا تدعي أنها تأكل اطايب الطعام ، لتجود باللحم واللبن المتكامل العناصر ، بل يكفيها عشب ترعاه ، ومن العشب تحصل على الطاقة الميسرة التي تستخدمها الميكروبات اولا ، ثم الأنعام ثانيا .. لأن الحيوان المجتر لا يستطيع ان يهضم المادة الأساسية في الاعشاب (السليلوز) - كما سبق ان ذكرنا ، بل عليه المضغ والتقطيع ، وعلى الميكروبات الهضم والتحليل ، والواقع ان كل مادة غذائية في العشب لها ميكروباتها المتخصصة ، فللسيليلوز

ميكروباته ، ولأشباه السيليلوز ميكروباتها ، وكذلك للنشويات والبروتينات .. الخ ، وكل هذا يتحول الى مواد كيميائية بسيطة وميسرة لتستفيد بها جيوش الميكروبات في بناء مادتها الحية ، وكأنما كرش الحيوان المجتر هنا بمثابة مستودع مثالي للتخمير ، او مزرعة ميكروبية ذات كفاءة عالية ، اذ عندما يصيب هذا المستودع اي الكرش » محتوياته في المعدة الثانية للحيوان ، فإن عدد الميكروبات قد يصل إلى حوالى ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميكروب في السنتيمتر المكعب الواحد ، (قدر سكان العالم بحوالي مرتين ونصف) اي ان محتويات الكرش هنا تضم اعدادا كونية من المحصول الميكروبي ، ومن هذا المحصول يحصل الحيوان على كل مقومات حياته ، اذ عندما تمر هذه المزارع في معدته وامعائه ، تموت منها نسبة كبيرة وتتحلل ، وعندئذ تتخلى له عن مادتها التي وهبتها يوما حياتها ، فيهضمها ويمتصها على هيئة بسيطة ، لتسري بعد ذلك في دمائه ، ثم تبنى في خلاياه . وأنسجته على هيئة بروتينات ودهون وسكريات بسيطة ومعقدة ، ومنها الى أثدائه ، ليصبح لبنا سائغا للشاربين ، وفي اللبن ايضا بروتيناته ودهونه وسكرياته وفيتاميناته .

تأمل له معناه

ثم انك لو تأملت قليلا في هذه العملية ، لأدركت ان حيوان المرعى بمثابة مزرعة ميكروبية كالتي يطمع فيها العلماء ، لكنهم لم يحققوا هدفهم بكفاءة حتى الآن ، ولقد حققها الحيوان ، وبأقل تكاليف ممكنة .. فمادته الخام تكمن في الاعشاب ، وطحنها تتكفل به الأسنان ، ومستودع تخميرها كرش ، وعمالتها ميكروبات متخصصة ومتوازنة ، وفي فرثها منحة غالية لم تكن موجودة اصلا في المادة الخام « اي الاعشاب » والمنحة تتمثل في بعض فيتامينات هامة للحيوان والانسان ، والذي جهز هذه المواد الثمينة ، من خاماتها الرخيصة ، مجموعة محددة من الميكروبات ، ولهذا فان ألبان الأنعام تحتوي عادة على نسبة ثابتة من الفيتامينات ، واهمها مجموعة فيتامين « ب » المركب ، ولا يهم ان اكل الحيوان عشبا خاليا من الفيتامينات ، او يابسا او اخضر ، لأن اساس صناعة هذه المواد الحيوية تكمن في هذه المعامل الحية الدقيقة ـ اي الميكروبات النشطة في فرثها .

والصعوبة التي تجابه العلماء الآن في بحوثهم التطبيقية هي كيفية جني المحاصيل الميكروبية من مزارعها بطريقة اقتصادية ، واصعب من ذلك ايضا فصل المكونات التي تحتويها الميكروبات ، اذ ان فيها النافع والضار ، فبجوار ما تحتويه من بروتينات وفيتامينات ، فقد تحتوي ايضا على سموم ناقعات ، وتلك مشكلة كبرى وقفت حائلا دون

الاستفادة من المزارع الميكروبية الصناعية ـ اي التي تتم في احواض او مستودعات كبيرة للتخمير .

لكن الأنعام قد حلت هذا الأمر بطريقة اقتصادية يسيل لها اللعاب ، فكأنما هي تحتضن في فرثها ميكروبات اختيرت لها اختيارا دقيقا ، فلا سموم فيها ، ولا نفايات ضارة ، بل قدر كل شيء تقديرا حسنا من البداية .. اضف الى ذلك ان المحصول الميكروبي ، والمكونات الغذائية التي اطلقتها الميكروبات في الفرث ، تجد لها في الجهاز الهضمي للحيوان ما يفصلها او « يغربلها » الى وحداتها ، فتمتص الامعاء منها المفيد ، وتدفعه الى الدم ، وغير المفيد ينطلق الى الخارج على هيئة فضلات .

والواقع ان عملية فصل وامتصاص المفيد من غير المفيد في امعاء الانسان والحيوان ، ثم دفعه الى الدم ، انما هي عملية معقدة ودقيقة ، فالغذاء المهضوم لا يمر من خلال اغشية خلايا الامعاء بنفس السهولة التي تمر منها المحاليل من خلال ورق الترشيح ، بل على الاغشية بناء ليس كمثله بناء ، والبناء من جزيئات كيميائية مختلفة ، لكنها متآلفة ، وهي هنا بمثابة حرس الحدود الذي يسمح بالدخول للمرغوب فيه ، ولا يسمح لسواه ، وكذلك تكون الاغشية الرقيقة غاية الرقة ، فهي تنتقي الصالح ، وتترك الطالح ، ليخرج كفضلات ، لكن هذا موضوع آخر طويل ومثير ، وقد نتعرض له في دراسة قادمة ، لنوضح بها المعنى المقصود من بين الفرث والدم ، ولنعلم ايضا شيئا عن اتقان الخلق الذي عبرت عنه الآية الكريمة : **(صنع الله الذي اتقن كل شيء)** النمل/٨٨ .

بقيت نقطة اخيرة تشير الى تلك العلاقة الوطيدة بين الانعام ، وبين ما تحوي في فرثها من ميكروبات ، فهذه الحيوانات لا تستطيع ان تعيش على الكلأ او الأعشاب بدون وجود هذه الكائنات ، لأنها بمثابة « الطاهي » الذي يجهز لها « المائدة » في كروشها من خامات بسيطة ، فيحولها الى اصناف من المركبات تدخل في اللحم والشحم واللبن ، ثم ينتقل كل هذا الى موائدنا طعاما شهيا ، ومن وراء ذلك جنود مجهولون يسكنون الفرث ... أضف إلى ذلك ان الميكروبات بدورها وكما سبق ان قدمنا ـ لا تستطيع ان تعيش بدون حضانة الانعام ، والتجارب الكثيرة التي اجراها العلماء توضح ذلك اعظم توضيح .

ان هذه المشاركة بين انعام وميكروبات تعرف باسم المنفعة المتبادلة ، لأن كليهما يقدم لرفيق حياته ما يحفظ عليه حياته ، وهو ما اشرنا اليه فيما تقدم من صفحات ، وهو ما اشرنا اليه قبل ذلك ايضا في دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة ، وتعرضنا فيها لصور متقنة من التعاون بين الكائنات ، لتسير بها الحياة هينة لينة ، ولتدل على المغزي العميق ، والتنظيم الدقيق في كل شيء خلقه الله فقدره تقديرا : **(وكل شيء عنده بمقدار)** الرعد/٨ .

وقفت بالنيل

للأستاذ / كمال الوحيدي

« مهداة الى المسلمين بمناسبة الغزو الروسي لافغانستان »

وقفت بالنيل في حزن أرددها
آهات وجد من الأعماق أزجيها
ونخلة في ضفاف النيل فارهة
دقات قلبي كبركان تناجيها
والدمع من مقلتي الحرى له لهب
يدمي القلوب التي جفت مآقيها

شكوت للنخلة الخضراء أمتنا
سيمت هوانا ولم تشهد مواضيها
فالخصم يعبث في اقداسنا بطرا
يا للمهانة قد ضجت ملاهيها
هانت على الناس لما أمعنت سرفا
فأصبحت هدفا تغزي نواحيها
فأطرقت نخلة الوادي تناشدني
بأن اكف فان الشكو يدميها

قالت : الا تبصر السكرى بلا سكر
مثل السوائم تلهو في مراعيها
لم يعبأوا بدماء في الوغي نزفت
هبت الى المجد إرضاء لباريها

هبت تصون الى الاقصى عروبته
ولم ترم بذليل العيش ترفيها
فخانها من تهاووا في ضلالتهم
صما ولم يقبلوا هديا وتوجيها

أين الشهامة أين القدس موطننا
أين الكرامة هل جفت سواقيها ؟
هذي الملايين للاسلام قد نسبت
لم تنتفض وسهام الكفر ترميها
ففي « فلسطين » اسرائيل قد رتعت
وفي « الفلبين » « ماركوس » طغى فيها
وشعبنا في « اريتريا » رأى عنتا
« مريام » يقذفها نارا ويصليها

فقلت يا نخلتي أفغاننا غزيت
فالروس قد أرهقوا كفرا مرافيها
وفي « اوغندا » دماء الأهل نازفة
دالت بها قوة كنا نرجيها
« جوليوس نيريري » غزاها وهي آمنة
حقدا فحول أنقاضا مبانيها
يا مسلمون اعدوا اليوم عدتكم
ضموا الصفوف فان الله راعيها
الكفر شن على الاسلام حملته
قتلا ونهبا وإفناء وتشويها
صفوا الجموع على اسم الله واعتصموا
بحبله وبإسم الله مجريها
ولترفعوا راية التوحيد عالية
فوق الثغور أقاصيها ودانيها
حتى تعود الى الاسلام عزته
وأرضنا بدماء الصيد نحميها



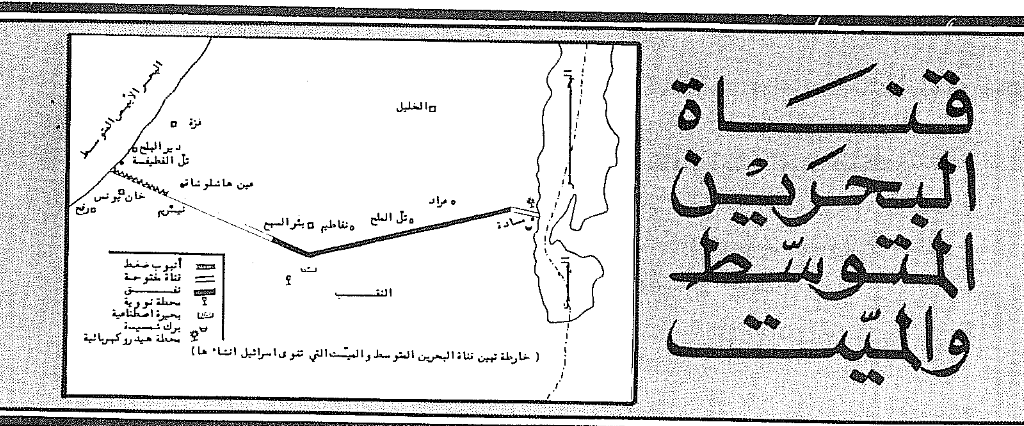
للاستاذ/ راتب السعود

الاطماع الصهيونية في البلاد العربية وثرواتها من نفط ومواد خام ومياه وبحار وانهار ، اطماع لا حدود لها . فالمخططات التي وضعها الاستعمار للسيطرة على خيرات البلاد العربية ، سلمت للصهيونية العالمية وقاعدتها اسرائيل لتعمل على تنفيذها بالتدريج تبعا للظروف السياسية والاوضاع الاقتصادية .

ولعل واحدا من هذه المخططات هو ما يطرح الآن تحت اسم « مشروع قناة البحرين » وهو مشروع من بنات افكار الاستعمار البريطاني القديم ، وكان قد تنبأ به الزعيم الصهيوني « ثيودور هيرتسل » وتحدث عنه في كتابه « الارض القديمة والجديدة » والمقصود هو ربط البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت عن طريق قناة تستغل لاغراض مختلفة .

نبذة تاريخية :

ولعل ايجاد هذا الرابط المائي بين البحر الابيض المتوسط والبحر الميت هو جزء من مشروع كبير كان الاستعمار البريطاني ـ في اواسط القرن التاسع عشر ـ يحلم به ، من اجل الوصول الى المستعمرات الهندية بأقصر الطرق واكثرها اقتصادا ، وخصوصا ان الاستعمار الفرنسي قد خطا خطوات واسعة في مشروع قناة السويس ، ولذا فقد كلفت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة الكولونيل « وليام آلن » للذهاب الى فلسطين ودراسة امكانية شق القناة التي ستكون موازية لقناة السويس . وبالفعل حضر آلن الى فلسطين وبدأ دراساته ولخص ابحاثه في كتاب بعنوان « البحر الميت طريق جديدة الى الهند » ويقترح فيه شق قناة تربط البحر المتوسط من خليج حيفا بالبحر الميت والذي سيرتفع منسوب المياه فيه ، ثم دعا الى استكمال المشروع



(خارطة تبين قناة البحرين المتوسط والميت التي تنوي اسرائيل انشاءها)

قنـــاة البحريـن المتوسّط والميّـت

بوصل البحر الميت بخليج العقبة ، واكد ان تكون القناة من الاتساع بدرجة تسمح للسفن بالابحار فيها . نخلص من هذا الى ان مشروع القناة فكرة بريطانية قديمة ، اما الصهاينة فلم يفكروا بها الا منذ سنة « ١٨٩٩ ». وذلك حين وضع ثيودور هيرتسل الخطوط الاولى لانشاء دولة اسرائيل وبالتالي تزويدها بالماء والكهرباء لسد حاجاتها . ولعل هيرتسل استعان بمهندس سويسري يدعي « ماكس بوركات » من اجل وضع التصاميم الفنية للقناة التي ستنشأ في المستقبل .

تنفيذ المشروع :

بقي كل هذا حبرا « على ورق ، وتعاقبت الاجيال على الحكومات الاسرائيلية منذ تأسيسها ولكن الخطط والتصورات لم تهمل ، وكانت الظروف تحول كل سنة دون تنفيذها فيؤجل الى سنة اخرى لاعتبارات سياسية واقتصادية .

وجاءت حكومة الليكود برئاسة مناحيم بيغن لتشكل لجنة برئاسة « يوفال نئمان » رئيس علماء الجيش الاسرائيلي لدراسة المشروع ، حيث بدأت اللجنة اعمالها في عام ١٩٧٨ ، وبدأت بدراسة المشاريع والمخططات القديمة ، ودرست مختلف الاوضاع ورفضت عدة طرق يقترح واضعوها مرور القناة بمناطق معينة ، واستبدلتها بطرق اخرى رأت انها مناسبة لاسباب كثيرة ولاعتبارات سياسية واقتصادية وغيرها .

استقر الرأي على اعتماد الخط الذي يصل تل القطيفة قرب غزة على ساحل البحر المتوسط بالمسادة قرب البحر الميت ، وحال الانتهاء من كافة الابحاث وعلى ضوء تقارير لجنة نئمان ، فقد اتخذت الحكومة الاسرائيلية وبالتحديد يوم (١٩٨٠/٨/٢٤)، قرارا بالموافقة على مشروع القناة ،

حيث صرح بعدها « اسحق موداعي » وزير الطاقة الاسرائيلي « ان القناة التي ستصل البحر المتوسط بالبحر الميت ستؤدي الى ثورة صناعية في اسرائيل ، ولذا لم يعد في وسعنا تأخير المشروع اكثر من ذلك اولا « بسبب صعوبة التموين بالنفط . وثانيا لأن الاردن تستعد لتنفيذ مشروع مماثل يصل البحر الاحمر ابتداء من خليج العقبة بالبحر الميت .

مخطط القناة :

سوف تبدأ القناة من تل القطيفة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ـ جنوبي دير البلح وشمالي خان يونس ـ في قطاع غزة وتنتهي في منطقة مسادة بالقرب من البحر الميت ، مرورا بالنقب الشمالي جنوبي بئر السبع كما هو موضح في الخريطة .

وبالنسبة للتفاصيل الفنية لهذا المشروع ، فسوف تكون على النحو التالي : سيتم سحب مياه البحر المتوسط بواسطة جهاز خاص لادخال المياه بحيث يركب في تل القطيفة ويتوغل حوالي ٦٠٠ متر داخل البحر المتوسط بواسطة عائم بحري حيث تركب عليه مضخات للمياه بقدرة ٥٠ مترا مكعبا في الثانية ، وستسير المياه عبر انبوب ضغط يبلغ طوله ٧ كم الى منطقة التلال شرقي قطاع غزة ، ومنها ترفع المياه بواسطة مضخات خاصة الى ارتفاع ١٠٠ متر فوق سطح البحر بالقرب من عين هاشلوشاه ، وبعدها تصب المياه بفعل الجاذبية والثقل في قناة مفتوحة ذات جدران اسمنتية طولها ١١كم وعرضها ما بين ١٠ ـ ٢٠ مترا . وفي ضواحي نيريم ستتدفق المياه عبر نفق طوله ٨٦كم وقطره ٥ امتار ، ومرة اخرى تسير المياه جنوبي بئر السبع في قناة مغلقة عبر الكتلة الصخرية في عراد الى ان تنتهي في بركتي تجميع للمياه بالقرب من معاليه يائير على مرتفعات سلسلة جبال القدس التي تطل على البحر الميت ، وستقام في اسفل بركتي التخزين محطة الطاقة الهيدروكهربائية داخل الصخور مقابل لسان البحر الميت ، ثم تتساقط المياه من ارتفاع ٤٠٠ متر في انبوب ضغط لتشغيل اربعة طوربينات للمحطة وبعدها تتدفق المياه على البحر الميت .

والجدير بالذكر ان اجمالي طول القناة يبلغ ١٠٨ كم .

مدة انجاز المشروع :

لقد حدد البروفسور « يوفال نئمان » رئيس لجنة التوجيه والتنظير الخاصة بقناة البحرين ، الجدول الزمني لتنفيذ المشروع على النحو التالي :

- سنة واحدة للاعداد واستكمال التقديرات المالية .

● سنتان للتخطيط المفصل للمشروع .

اما العمل الفعلي فيبدأ سنة ١٩٨٢ وسيستغرق تنفيذ المشروع نحو ٥ سنوات وسيكون في الامكان تشغيل المحطة . وعليه يستغرق المشروع بعد بدء العمل فيه نحو ٨ سنوات .

وفي ندوة نظمتها الجامعة العبرية بالقدس حول مشروع قناة البحرين ، نوقشت المدة الزمنية التي سيحتاجها تنفيذ المشروع وقد بدا واضحا ان العمل الفعلي لن يبدأ قبل عام ١٩٨٣ وان العمل يستغرق نحو ٧ سنوات .

تكاليف المشروع :

اختلفت التقديرات حول التكاليف المتوقعة لتنفيذ مشروع قناة البحرين ، فقد ذكرت التقديرات الاولية ان تنفيذ المشروع سيتكلف مبلغا يتراوح ما بين ٧٠٠ ـ ٨٠٠ مليون دولار ، هذا الى جانب المبالغ التي ستنفق على اعمال البحث والتخطيط التي وظف فيها نحو ٦٠ مليون ليرة اسرائيلية من ميزانية ١٩٨٠/٧٩ .

وقد نقل اخيرا عن التقرير الاخير لـ « لجنة التوجيه والتنظير » برئاسة نئمان انه تم الجزم بأن قيمة الاستثمارات التي ستوظف في القناة ستبلغ نحو مليار دولار . ويبدو ان هذا الرقم هو الاقرب للحقيقة من سائر التقديرات التي حاولت التقليل من قيمة الاستثمار كي تبرر جدوى المشروع الاقتصادية .

تمويل المشروع :

لم تواجه اسرائيل منذ قيامها اية صعوبة في توفير التمويل لمشاريعها التوسعية القائمة على الاغتصاب ، وتمويل مشروع قناة البحرين شأنه شأن كل مشروع تقدم عليه اسرائيل كان متوقعا ان يأتي من الخارج ، وعلى حد قول يوفال نئمان : اصبح هناك اهتمام من جانب هيئات مالية ، دولية وامريكية . وهناك اموال وفيرة في العالم الذي يبحث عن استثمارات مغرية وجادة ، وفي الامكان ايضا « تأمين دعم اميركي لهذا المشروع من جانب الادارة التي لم تعد تعتبر المستعمرات غير قانونية .

وجاء على لسان « اسحق موداعي » وزير الطاقة الاسرائيلي : ان قرشا واحدا لن يأتي من ميزانية الحكومة لتمويل المشروع .

وبالفعل فقد اخذت هيئات الاستثمار الغربية التي تقع تحت النفوذ الصهيوني تتحرك في اتجاه توظيف اموالها في المشروع ، وقد عرضت مجموعة من المستثمرين من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا واسرائيل ،

نظمها المحامي الصهيوني الكندي روزنبرغ استعدادها لتمويل تنفيذ المشروع .

صعوبات امام المشروع :

الخبراء والفنيون الاسرائيليون يلقون مزيدا « من الاضواء على هذا المشروع ، ويحاولون ان يثبتوا بكل الاساليب مدى الجدوى الاقتصادية والفوائد المترتبة عليه ، ومع ذلك فهناك عقبات كثيرة وشاقة تعترض المشروع ، كما تحدث عنها بعض الخبراء منها :ـ

١ ـ ان قسما من القناة سوف يشق عبر الهضاب ، وسوف تسير المياه بواسطة انفاق ، وحفر الانفاق هذا من المشاكل الرئيسية التي تحتاج الى حلول ، اذ انها سوف تؤثر على المياه العذبة الجوفية في المنطقة التي سوف تمر بها القناة والتي تشكل مصدرا مهما بالنسبة للمنطقة .

٢ ـ استخدام مياه البحر المتوسط المالحة في التوربينات الكهربائية ، والتي تعمل بضغط الفارق بين مستوى البحر المتوسط والبحر الميت يتطلب استخدام معادن خاصة في صنع هذه التوربينات والا تعرضت للتآكل .

٣ ـ هناك سبب اقتصادي يعود ضرره على الاردن وعلى اسرائيل ، وهو ان مياه البحر المتوسط التي سوف تصب في البحر الميت تبلغ نسبة الملوحة فيها (٥٪) اذا ما قورنت بمياه البحر الميت التي تبلغ نسبة الملوحة فيها ١٥٪ ، وهذا يؤثر بل يضعف انتاج البوتاس في الجانب الاردني على الضفة الشرقية للبحر الميت .

٤ ـ هناك اسباب سياسية سوف تعرقل المشروع ، منها معارضة الفلسطينيين الاكيدة لقناة اسرائيلية تمر عبر اراضيهم ، كما سوف يلقى المشروع معارضة اردنية ، حيث ان مشروع القناة سوف يؤثر تأثيرا كبيرا على مشروع حيوي وضخم الا وهو مشروع البوتاس الاردني المقام على الضفة الشرقية للبحر الميت .

٥ ـ يعتبر هذا المشروع ـ اذا نفذ ـ خرقا للقانون الدولي ، اذ لا يحق لاسرائيل اقامة مشروع كهذا عبر اراض عربية استولت عليها بالقوة .

ولكن طالما ان قيام اسرائيل قائم على عدم المشروعية ولطالما اسرائيل ضربت بقرارات الدول العالمية وبقرارات الهيئة الدولية عرض الحائط ، فماذا يهمها مادام تنفيذ المشروع في سبيل صالحها حتى ولو كان على حساب مصلحة الغير .

ان القناة سوف تبدأ في تل القطيفة في غزة ، وغزة محتلة بالقوة وتابعة للحكم المصري ، والاردن تشترك مع اسرائيل في الحد بينهما « البحر الميت » فلا يحق لاسرائيل اقامة مثل هذه القناة دون اخذ موافقة مصر

والاردن والفلسطينيين الذين سوف تمر القناة بأراضيهم .

الاهداف الصهيونية من المشروع :

عندما يقوم الاسرائيليون هذا المشروع ، فان تقويمهم يتمحور حول ايجابياته اي الفوائد التي يتوخونها منه ، ويشدد الاسرائيليون على ان الغرض الرئيسي من المشروع هو توفير حل جزئي لمشكلة الطاقة التي تعاني منها اسرائيل ، الا انهم في الوقت ذاته يتحدثون عن فوائد ملازمة اخرى وفيما يلي عرض لابرز الفوائد التي سيجنيها الاسرائيليون من تنفيذ مشروع قناة البحرين :ـ

١ ● توليد الطاقة :

يتحدث الاسرائيليون عن استغلال القناة لانتاج ثلاثة انواع من الطاقة هي :

أ ـ الطاقة الهيدروكهربائية : ويقصد منها تشغيل المحطة المزمع انشاؤها قرب البحر الميت ، بحيث تنتج ٦٠٠ ميغاوات من الكهرباء يمكن زيادتها الى ٨٠٠ ميغاوات .

ب ـ الطاقة الشمسية : كما يتحدث الاسرائيليون عن امكان استغلال حرارة الشمس لانتاج طاقة شمسية من الممكن ان تكون في السنوات القادمة احد البدائل المقترحة للنفط ، بحيث تنتج نحو ١,٥ مليون ونصف المليون ميغاوات من الكهرباء .

جـ ـ الطاقة النووية : وثمة اهمية خاصة تعلقها اسرائيل على استخدام القناة في تبريد محطات طاقة تعمل بالذرة ، حيث ان القناة ستوفر المياه اللازمة والتي كانت دوما السبب الرئيسي والمشكلة العظمى لعدم توسيع المنشآت النووية ، لذا فان القناة ستفرز امكانات بناء محطة طاقة نووية في اسرائيل .

● انتاج الوقود من الزيت الحجري :

يشكل الزيت الحجري احد البدائل التي تحاول اسرائيل استغلالها لانتاج وقود بديل للنفط ، فهناك في منطقة الجبال المطلة على البحر الميت كميات كبيرة من الزيت الحجري ، تقدر بنحو ٢ مليار طن ، واستخراج الوقود من الزيت الحجري يتطلب كميات كبيرة من مياه التبريد وسيكون بامكان القناة توفير تلك المياه اللازمة .

● احياء المشاريع السياحية :

يتحدث الاسرائيليون عن امكانية قيام سبع بحيرات اصطناعية ستقام على امتداد القناة ، لتساهم في تغيير المنظر الطبيعي ، وستقام حول هذه البحيرات وبأساليب حديثة فنادق ، ونواد للاستجمام وبيوت للسكن ،

وسيستخدم بعضها لممارسة الرياضة البحرية كالتجديف والتزلج المائي وصيد الاسماك .

- تحلية المياه المالحة :

ان اقامة القناة قد تمكن من بناء معمل لتحلية مياه البحر في النقب ، وذلك باستخدام البرك الشمسية التي ستقام في المكان نفسه من اجل حاجات هذا المعمل الذي ستضخ اليه المياه من البحر بصورة متزايدة .

- اعمار النقب : ـ

لعل مشروع قناة البحرين سيساهم في مخططات اسرائيل الرامية الى توطين النقب وتعميره وتحويله الى قاعدة لمشاريعها التوسعية ، حيث ان القناة ستوفر المياه اللازمة للري والشرب الضروريين لاقامة المستوطنات .

- البعد الامني ـ الاستراتيجي :ـ

ان القناة في نظر الاسرائيليين ستوفر انواعا مختلفة من الطاقة ، اكثر امنا من تلك المحطات الاخرى ، وكذلك فان القناة ستشكل حاجزا مائيا يصعب اجتيازه في حال وقوع مواجهة عسكرية بين اسرائيل والدول العربية ، من جراء امتلاء منطقة البحر الميت بالمياه ، وبالتالي لن تفكر الدول العربية باجتياز هذا الحاجز المائي لما يحتاجه ذلك من اللجوء الى عملية برمائية معقدة ومنسقة تحتاج الى اعداد واسع ودقيق .

- البعد المعنوي :

يرى الاسرائيليون ان المشروع سيكون ذا مغزى رؤيوي ومعنوي ، وقد درجت اسرائيل على جذب انتباه يهود العالم نحوها كلما وجدت نفسها بحاجة الى ذلك ، وهي تستغل مثل هذه المشاريع لاضفاء طابع الهيبة والحضارة والتقدم عليها ، ينطبق هذا الحال على مشروع تحويل مياه نهر الاردن وبناء شبكة المياه القطرية التي تصب في النقب وتطوير قدرتها النووية وغير ذلك .

- الجدوى الاقتصادية :

لقد حدد الخبراء الاسرائيليون معايير حساب الجدوى الاقتصادية بما يوفره المشروع وخصوصا محطة الطاقة الهيدروكهربائية ، وقد بينت ابحاث هؤلاء الخبراء ان هذا المشروع سيمد اسرائيل بانواع مختلفة من الطاقة ، وسيكون بامكان المشروع توفير ملايين الدولارات التي كانت ستنفق على شراء الوقود واقامة محطات طاقة بديلة .

ردود الفعل العربية :

يعتبر المشروع الاسرائيلي هذا مخالفا للقوانين والاعراف الدولية لأن الارض التي ستمر بها القناة ارض محتلة بالقوة كما ان مياه البحر الميت

التي ستصب فيها القناة مياه دولية لا يجوز التصرف فيها الا بموافقة الاطراف المجاورة .

ولقد تعالت الاصوات العربية عامة والاردنية خاصة ، مستنكرة قيام هذا المشروع التوسعي الاستيطاني ، وكانت آخر تلك النداءات ، نداء الملك حسين ملك الاردن ، عند قيامه بتدشين مشروع البوتاس الاردني الذي اقيم على الضفة الشرقية للبحر الميت يوم (١٨/٣/١٩٨٢) حيث قال :

« ان اسرائيل المحتلة لكل فلسطين تأبى الا ان تعتدي على البحر الميت ، ويتمثل ذلك في اعلان عزمها على شق قناة البحرين التي تربط البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت ، وعملها هذا هو عدوان على ارضنا وحقوقنا وقيمنا الروحية ، كما انه اعتداء ونقض للشرائع والقوانين الدولية التي ترسم لسلطة الاحتلال الحدود التي يجب ألا تتجاوزها ، فقناة البحرين هذه تلحق بحقوقنا وثروتنا الوطنية اكبر الاضرار نتيجة تدفق مياه البحر المتوسط الى البحر الميت وآثارها السلبية عليه .. وما سوف تغمره هذه المياه من معالم حضارية ومنشآت انسانية . كما ان القناة نفسها تعتدي على ارض فلسطينية عربية محتلة ، وتحدث فيها تغييرات سكانية وجغرافية جائرة ومناقضة لكل حق وعدل وقانون ، كما تنطوي هذه القناة على تهديد كبير لأمن واستقرار فلسطين والاردن والدول العربية المجاورة بسبب ما تنويه اسرائيل من استغلال لمياه القناة في تبريد المنشآت النووية الاسرائيلية وتكريس استخدامها للشر والعدوان .

وختاما .

فان مشروع اسرائيل والصهيونية العالمية بشق هذه القناة التي تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الميت ، يضع العرب امام تحد كبير لا يقل خطورة عن تحويل مجرى نهر الاردن . وهو استمرار لسياسة اقامة المستعمرات في الارض العربية المحتلة وخلق حقائق الامر الواقع فيها . ولا يقل هذا المشروع خطورة وتحديا عن سائر المشاريع التي تطرحها اسرائيل لفرض وجودها على العالم العربي وترسيخ اقدامها في جميع الاراضي الفلسطينية .

ان مشروع قناة البحرين الذي تطرحه الصهيونية الآن هو حلقة جديدة من سلسلة المشاريع الصهيونية الاخرى كمشروع آلون ومشروع الحكم الذاتي واحزمة المستعمرات الاستيطانية ، وهي تقوم جميعا على هدف واحد هو خلق حقائق منتهية في الضفة الغربية تمهيدا لضمها وتهجير سكانها العرب .

فماذا نحن فاعلون .. ؟؟؟

مائدة القارئ

الأمل في رحمة الله

قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ .

انفروا خفافا وثقالا

قرأ ابو طلحة الانصاري سورة « براءة » حتى بلغ هذه الآية : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله) فقال : يأمرنا ان نخرج خفافا وثقالا ، شبانا وكهولا ، ما سمع الله عذر احد ، وقال لبنيه : اي بني ، جهزوني .. جهزوني .. (يعني للجهاد) ، فقال بنوه : يرحمك الله ! قد غزوت مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى مات . ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزوا عنك ! فقال : لا ، جهزوني . فجهزوه بجهاز الحرب ، فغزا في البحر ، فمات في الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها رضي الله عنه .

لا فرار

الشجاعة والحماسة من صفات العرب ، وجاء الاسلام فوجهها لنصرة الحق والدفاع عن الدين والعرض والوطن . فكانوا يكرهون الموت حتف انوفهم ، ويشتهونه في ساحات الوغى ، وميادين الشرف . قالت امرأة من عبد القيس . تصف قومها :

أبو أن يفروا والقنا في نحورهم ... لم يبتغوا من خشية الموت سلما
ولـو انهم فـروا لكـانـوا اعـزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت اكرما

لا تمسهما النار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ « عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله ».

لا حاجة للقاضي

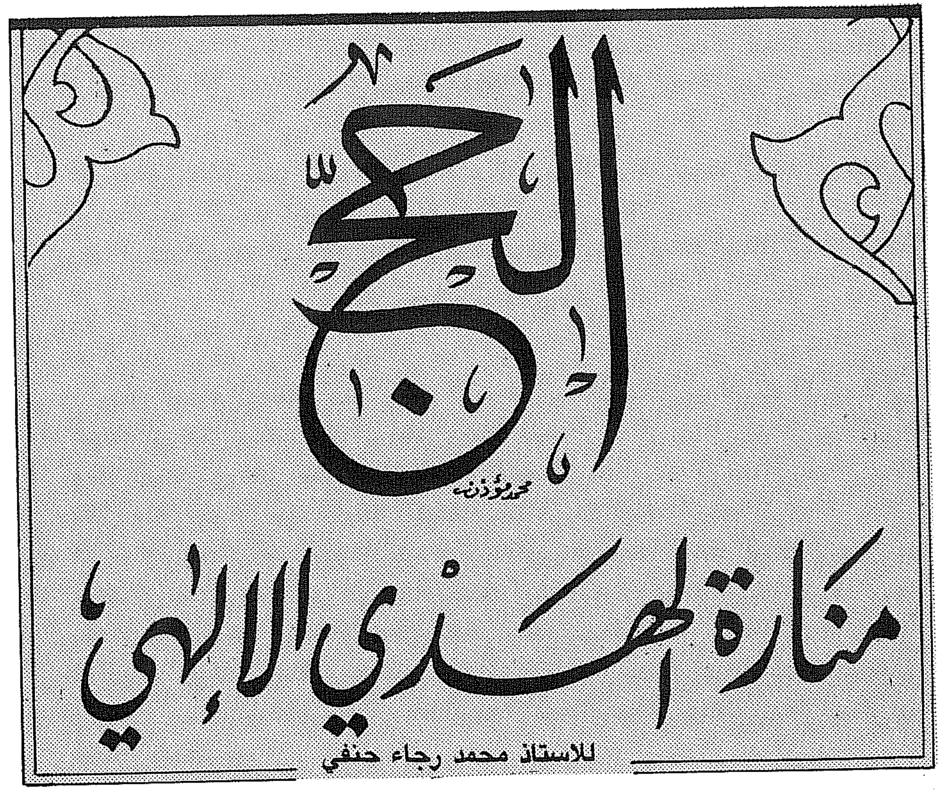
كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قاضيا على المدينة المنورة في عهد ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه :
وقد طلب من ابي بكر إعفاءه من القضاء .
فقال أبو بكر : أمن مشقة القضاء تطلب الاعفاء يا عمر ؟
قال : لا يا خليفة رسول الله ، ولكن ليس بي حاجة عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب اكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر في ادائه ، احب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، اذا غاب احدهم تفقدوه ، واذا افتقر اعانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، واذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففيم يختصمون ؟!

واجب الداعي الى الله

قال توماس ارنولد في كتابه (الدعوة الى الاسلام) :
« ان البلجيكيين حكموا على زعيم مسلم بالاعدام ، فقضى هذا ساعاته الأخيرة ، وهو يحاول ان يدخل الاسلام الى قلب المبشر المسيحي الذي كان قد أرسل اليه ، ليزجي اليه التعزيات الدينية »

القدوة الحسنة

قال عمر بن عتبة لمؤدب ولده : ليكن اول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بك : فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر اعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء .



الحج مؤتمر سنوي عام يعقد في الحرم فرضا على كل مستطيع في كل عام ، تلتقي فيه الوفود من كل فج في حب ورحمة واخاء ، عند الحرم الآمن والبيت العتيق ، يطرح كل حاج منهم اللباس الذي اعتاده في بلده ووطنه ، ويرتدي ملابس الاحرام ، ويدخل الى منطقة التجمع متجانسا مع اخوانه وهو يردد : لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، فيتوحد ظاهره وباطنه ، ويلتقي مع اخوانه على مبدأ الخير العام المتمثل في « لا إله إلا الله » .

والحج في اللغة : القصد للزيارة ، ومن الناحية الشرعية هو : القصد في أشهر معلومات الى البيت الحرام للنسك والعبادة فرضا كانت أو سنة .

وهو فرض عين بالاجماع على كل مكلف مستطيع مرة في العمر ، وزعم بعض الفقهاء أنه يجب مرة كل خمس سنوات ، والصحيح انه مرة واحدة في العمر ، وما زاد على ذلك فهو نفل ، بدليل ما روي عن أبن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يأيها الناس : قد فرض عليكم الحج فحجوا» ، فقال الأقرع بن حابس ـ رضي الله عنه ـ : « أفي كل عام يا رسول الله ؟ .. فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : « لو قلت : نعم . لوجبت ، ولو وجبت لم تقوموا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » رواه احمد والترمذي والنسائي .

وهو أحد الأركان الخمسة في الاسلام لقوله تبارك وتعالى : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**) ٩٧/ آل عمران - ولما يروى عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » متفق عليه عن ابن عمر بن الخطاب ، فالايمان به واجب ، ويكفر ويخرج عن الاسلام ويقام عليه الحد كفرا كل من أنكر فريضة الحج ، ذلك لأنه علم من الدين بالضرورة .

والمراد بالبيت الحرام المسجد الحرام ، بدليل قوله عز وجل : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**) ٩٦/ آل عمران - فهو أول بيت وضع للعبادة على الاطلاق ، وباجماع العلماء بدليل النص القطعي ، وهو سابق على المسجد الأقصى بعدة قرون ، وهو كما قال المفسرون أقدم بيت للعبادة ، وليس هناك أقدم منه .

ولا يكون الحج فرضا على المسلم إلا عند الاستطاعة ، وقد ذهب الامام الشافعي - رضي الله عنه - الى اعتبار الاستطاعة بالمال ، ولذلك أوجب الاستنابة على المريض الذي لا يرجى شفاؤه اذا قدر على دفع أجرة من ينوب عنه ، معتمدا في ذلك على جواب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على من سأله عن السبيل بقوله : « الزاد والراحلة » رواه الشافعي في مسنده والترمذي .

وذهب الامام مالك الى اعتبار الاستطاعة بالبدن ، وأوجب الحج على كل من استطاع أن يمشي ويكسب في الطريق .

أما الامام أبو حنيفة النعمان فقد ذهب الى اعتبار الاستطاعة بالصحة والمال معا ، واستدل على ذلك بما نقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : السبيل أن يصح بدن العبد ، ويكون له زاد وراحلة من غير أن يجحف به .

ويؤول الامام أبو حنيفة ما جاء في الحديث الذي اعتمد عليه الامام الشافعي بأن فيه بيانا لبعض شروط الاستطاعة ، بدليل أن من قصد أمن الطريق لا يجب عليه الحج ، والظاهر أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لم يتعرض لصحة البدن في الحديث كأحد مقومات الاستطاعة لظهور الأمر ، ويؤيد هذا ما ورد في بعض الروايات من أن سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قد قال : ان الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب عندما سئل عن السبيل بقوله : « أن تجد ظهر بعير » ولم يذكر الزاد .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة :

لقد كان المسلمون والمصطفى

صلوات الله وسلامه عليه في شوق وحنين الى « مكة » ، فقد مرت عليهم ست سنوات وهم في جهاد مستمر ، ولم يروا وطنهم الأول الذي أخرجوا منه ، ست سنوات عاشها المهاجرون وهم يذوقون خلالها آلام الفراق والنفي ، ومرارة الحرمان من أهلهم ومن وطنهم .

وعندما فرض الحج في السنة السادسة من الهجرة فرح المسلمون واشتد فرحهم ، لأنهم أدركوا أن تمام أمرهم قد اقترب ، وأن تحقيق ما وعد به المولى تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حان وقته ، وأن « مكة » الحبيبة الى القلب والى النفس مفتوحة أمام الدعوة الاسلامية لا محالة ، وأن البيت الحرام سيكون خالصا للمسلمين ، ولكلمة الله عز وجل وحده ، فكان ذلك هو مبعث فرحهم وسعادتهم ، ففرض الحج بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بكمال دعوته ، ونصرة كلمته ، وتحقيق أمله ، خاصة وأن الفرائض كلها قد تمت فرضيتها ، فالصلاة فرضت في « مكة » ، والزكاة والصوم فرضا في « المدينة » ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لأهل « مكة » .

في الحج وحدة في كل شيء :

لقد أرسى الاسلام بفرضيته للحج للانسانية دعامتين اثنتين :

الأولى : الاعتراف الكامل بالآثار الطيبة للنبوات السابقة ، التي لم تخالطها أهواء الناس ، ولم تنحرف بها شهواتهم ، فجميع الأنبياء والمرسلين عند المسلمين مكرمون معظمون ، ولكن أهواء الناس هي التي فرقت بينهم ، فتخاصمت باسمهم وهم من ذلك براء .

الثانية : أن الاسلام قد أنصف الحقيقة المظلومة التي شوهت على يد الأتباع الذين خالفوا رسلهم وأنبياءهم ، وردها نقية صافية ، تعانق في ساحتها جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، والتقى على فطرتها الأطهار والأبرار من الأولين والآخرين .

ومن هنا لم يكن الحج مجرد فريضة تهذب النفس وتعصم السلوك ، وتجمع أهل الجيل الواحد على الخير والبر ، بل كان عنوانا للأخوة الانسانية العامة على مر الأيام وتوالي الأزمان ، وتقديرا للنبوات التي فرقتها الأهواء وانحرفت بها الشهوات ، مطالبا باتباع ملة سيدنا ابراهيم عليه السلام حنيفا ، وما كان من المشركين .

واننا اذا تأملنا فريضة الحج من بدايتها ، وهي تفرض الاحرام من مواقيت محددة ، وللاحرام لباسه وتلبيته وآدابه الخاصة والعامة ، ومظهره الجامع الذي يجعل الناس يدخلون الى منطقة التحريم وقد طرحوا خلف ظهورهم ما به يتفاضلون ويتفاوتون ، واتجهت نياتهم وعزائمهم الى التزود من العمل الصالح الذي يقربهم من المولى تبارك وتعالى ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، بل

ذكر الله عز وجل ، وبر بالخلق ، ومنافع مشتركة تعود بالخير على الانسانية كلها ، لوجدنا وحدة في كل شيء .

وحدة في العقيدة : فالله جل شأنه واحد ، والكل يستجيب لأمره ، ويبتغي مرضاته ، وهم يهتفون متجردين « لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك »

وحدة في الاتجاه : فالقبلة واحدة .

وحدة في الزمان : فالحج أشهر معلومات .

وحدة في المكان : فالطواف ، والسعي ، والوقوف بعرفة ، ورمي الجمار ، والنحر ، والتلبية لها أماكنها المخصوصة .

وهذه الوحدة الشاملة تجعل عواطف الناس الذين أقبلوا من جهات متباعدة ومتباينة تنصهر في بوتقة واحدة ، فتمضي الى طريق واحد ، هو طريق الهدى والفلاح .

الحج أفضل العبادات :

لقد ذهب كثير من العلماء الى أن الحج أفضل من الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، مستدلين على ذلك بما روي عن ماعز - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها » رواه احمد والطبراني ، ورواة احمد إلى ماعز رواة الصحيح .

وبما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » رواه البخاري ومسلم .

ليشهدوا منافع لهم :

ان المولى تبارك وتعالى قد أوجب الحج مرة في العمر على التراخي ، لتتعرض جماعات من الناس في كل عام لنفحات الله عز وجل ورضوانه ، ولم يكن وجوب حج بيت الله -عزوجل- الحرام عبثا ، بل هو لمنافع منشودة في كل النواحي المادية والروحية ، يقول الحق جل وعلا : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج/ ٢٨ .

وهذه المنافع عامة وواسعة ، تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وسائر الجوانب التي تقدس وحدة المسلمين ، وتشعرهم جميعا بأنهم جسد واحد ، كل أمة أو جماعة تمثل عضوا فيه ، تستمد منه كيانها ، ويقوم وجودها عليه .

وليس هناك شك في أن قمة المنافع الروحية هي توجيه الناس جميعا الى توحيد الله عز وجل ، وعبادته دون سواه ، وهذا الاجتماع السنوي ضمان لأعظم وحدة اجتماعية ، وأخاء ومحبة وسلام ، فليس هناك سوى معبود واحد كلهم لبوا دعوته ، وأقروا له وحده بالنعمة ، ودانوا له وحده بالطاعة .

أثر مناسك الحج

وفي مناسك الحج يندحر الشرك وتنهزم الوثنية ، وتتطهر العقائد من الدنس ، ويعرف الجميع أنها شر كلها ولا خير فيها .

وفي مناسك الحج ينتصر الايمان على الكفر ، ويتغلب الخير على الشر ، والعلم على الجهل ، وتصفو النوايا ، وتتصافح القلوب ، وتظهر نفحات وتجليات من المولى تبارك وتعالى ، من غفران للذنوب ، واجابة للدعاء ، ورفع للدرجات .

ويتجلى انتصار الايمان على الكفر بطريقة عملية في رجم الأنصاب في « منى » ، وهذه سنة متبعة من أيام خليل الله عز وجل ابراهيم عليه السلام ، فقد حطمها في مدينة « أور » ، ثم رجمها في « منى » حين تراءى له الشيطان حولها ، ولا يزال الحجاج يرجمونها في « منى » الى وقتنا هذا ، والى أن تقوم الساعة .

وقد لمس العرب بطلان عبادة الأصنام من قديم ، يوم رجمها سيدنا ابراهيم عليه السلام في « منى » ، وهو يقول عند الرمي بكل حصاة « الله اكبر » ، ويتضح حذره من الشرك والوثنية في دعائه الذي أخبر المولى تبارك وتعالى عنه بقوله : **(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)** ابراهيم/ ٣٥ و ٣٦ ، ولا يزال المسلمون يلمسون الى اليوم بطلان عبادة الأصنام كلما رجمها الحجاج .

ولا شك أن الاحساس بتوحيد الله عز وجل ، ونبذ الأصنام وعبادتها يتجلى أعظم ما يتجلى من الناحية النفسية عند الحجاج حين يكفرون بها عمليا برجمها في « منى » ، هنا يستشعرون عظمة الخالق عز وجل في قلوبهم ، وأنه الخالق لكل شيء بعد أن تصغر في نظرهم الأنصاب التي هي معاقل الشرك عندما يرجمونها وهم يهتفون « الله أكبر » ، ويتكرر هدم الوثنية بتكرار رجم الأنصاب في كل عام ، ويوم النحر يرجم نصب « العقبة » أكبر الأنصاب التي ترجم في الحج ، وهو النصب الوحيد الذي يرجم في ذلك اليوم ، أما بقية الأنصاب فترجم في أيام التشريق الثلاثة ، ومن تعجل في يومين فلا اثم عليه .

وقد قام وحي السماء منذ فجر التاريخ والى أن بلغت البشرية رشدها على توجيه الناس الى العقيدة الصحيحة ، وافراد الله عز وجل بالعبادة ، والتضرع والتوجه اليه دون سواه بالدعاء ، ولا خلاف بين الشرائع السماوية في حقيقة الايمان ، ولكنها تختلف في أعمال الجوارح ، وذلك راجع لاختلاف البيئات والظروف البشرية ، ولا ضير في ذلك ، فالمولى تبارك وتعالى هو الذي أنزل الشرائع كلها .

وفي مناسك الحج شرع الله عز وجل لنا جميع العبادات التي وردت في الشرائع كلها منذ سيدنا ابراهيم عليه السلام والى عهد رسولنا صلى الله عليه

وسلم ، حتى يكون الحج جامعا لأنواع العبادات البدنية ، ومظهرًا للاخاء والتواصل .

وفي مناسك الحج نجد التجرد من المخيط والاكتفاء بالازار والرداء ، والطواف بالكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والاجتماع الأكبر في عرفات ، ولأهمية هذا الاجتماع العظيم يبطل حج من لم يدركه قبل غروب شمس يوم عرفة ، ووقوف الناس جميعا سواسية أمام الخالق وبين يديه .

أطهر اجتماع انساني :

ليس هناك اجتماع على وجه الأرض في نقاء وصفاء اجتماع الحج وطهارته ، انه اجتماع منزه عن الشوائب ، شوائب الحقد والبغضاء ، والأثرة والجدال والخصام والنوايا السيئة ، يقول الله عز وجل : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**) البقرة/

والحج المبرور هو الذي يرجع منه الحجاج مغفورا لهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وهو الذي يباهي فيه المولى تبارك وتعالى الملائكة بمن لبوا دعوته ، وتحملوا مشاق السفر ، يقول الحق عز وجل للملائكته يوم عرفة : « **انظروا الى عبادي ، أتوني شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، أشهدكم أني قد غفرت لهم** » رواه أبو يعلي ، والبزار والبيهقي واللفظ له .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك ، فقال : « إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه ، فعلت ؛ وإن شئتما ان أمسك وتسألاني فعلت : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقفي للأنصاري سل ، فقال اخبرني يارسول الله ،فقال جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ، ومالك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة ، ومالك فيه ، وعن رميك الجمار ، ومالك فيه ، وعن نحرك ومالك فيه مع الافاضة ، فقال : والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . قال : فانك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني اسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة فان الله يهبط الى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول : عبادي جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي . في نسخة « يرجون رحمتي » ـ فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ـ أو كقطر المطر ، او كزبد البحر ـ لغفرتها ، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ، ولمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك ، واما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها

حسنة ، ويمحي عنك بها خطيئة ، واما طوافك بالبيت بعد ذلك فانك تطوف ولا ذنب لك ، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل ، فقد غفر لك ما مضى » رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له ، وقال : وقد روى هذا الحديق من وجوه ، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق - قال الحلي رضي الله عنه : وهي طريق لا بأس بها ، رواتها كلهم موثقون .

ان الانسانية لن تشعر بسعادة وصفاء ونقاء مثل ما تشعر به في هذا الاجتماع السنوي العظيم ، الذي يحقق المحبة والألفة والمودة بين الناس ، في ظل العقيدة الصحيحة .

ان الحج تعويد للمسلم على الحياة الجادة ، وتربية لقيمة المساواة ، وهو نوع من السلوك ولون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول الى المثل العليا ، والقيم السامية التي ينشدها الانسان الفاضل في هذه الحياة .

فهل يستطيع أي منهج أرضي بشري أن يصنع أمة كتلك الأمة التي لبت نداء المولى تبارك وتعالى ، ووقفت بعرفات وعظمت شعائر الله عز وجل ؟ .. وهل تتمكن فلسفة من الفلسفات أن تغرس هذه الفضائل العالية في نفوس البشر كما تغرسها فريضة الحج ؟

لا ، ان فريضة الحج منارة الهدى الالهي ، وما أجدرنا أن نفيء الى هذا الهدى ، وأن نستنير بنور الاله الحق حتى لا نضل الطريق ، فطريق الله عز وجل واضح لا عوج فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

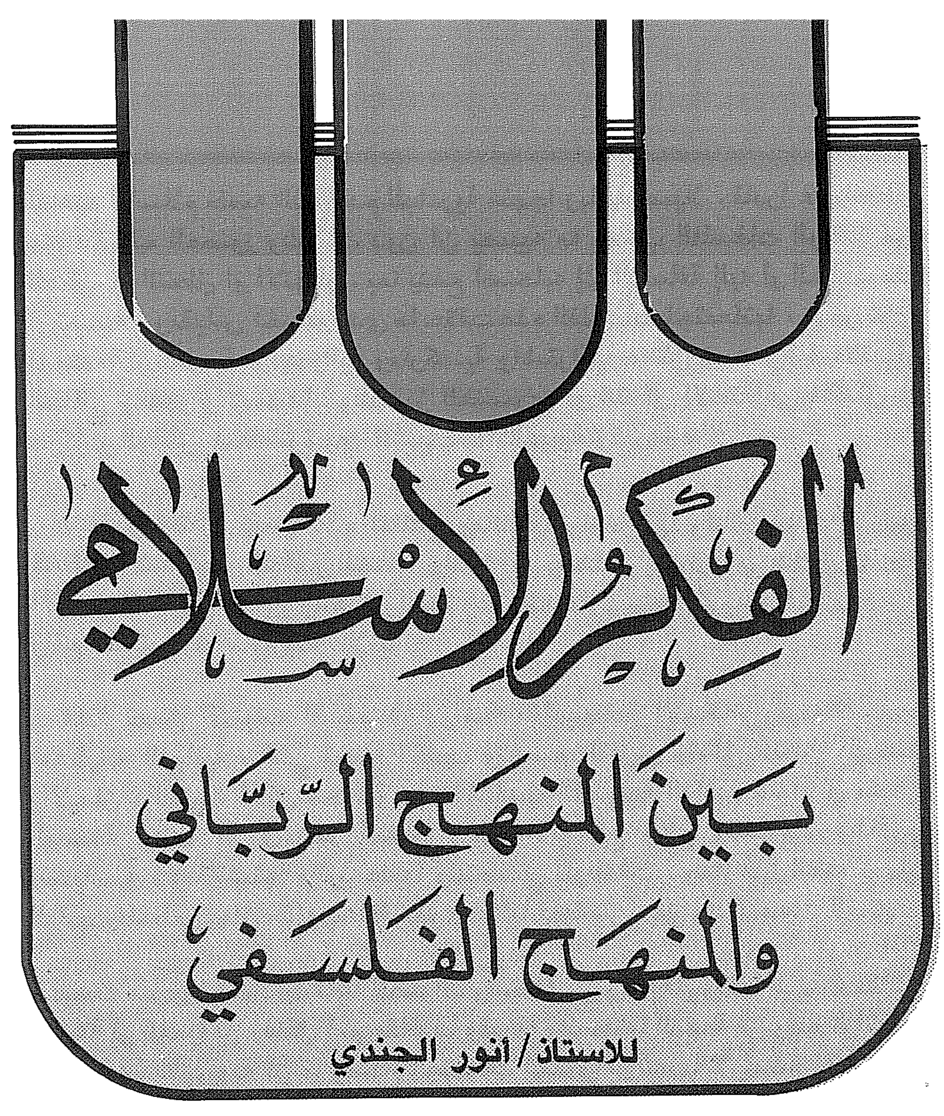
ولقد وردت عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أحاديث كثيرة تبين فضل الحج ، وتوضح أنه يغفر الذنوب ، منها :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » رواه احمد والترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » رواه البخاري ومسلم والأصبهاني وزاد «وما سبح الحاج من تسبيحة ، ولا هلل من تهليلة ، ولا كبر من تكبيرة الا بشر بها تبشيرة » .

وعن جابر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ، قيل : وما بره ؟ قال : « اطعام الطعام ، وطيب الكلام » رواه احمد والطبراني وفي رواية لأحمد والبيهقي : « اطعام الطعام ، وافشاء السلام » .

نسأل المولى تبارك وتعالى أن يوفقنا الى اجتياز مفازات الحياة برواحل الطاعة ، وأن يرضى عنا ، ويغفر لنا ويرحمنا ، فانه بعباده رؤوف رحيم .



من أخطر المنافذ التي دخل منها الاحتواء الغربي والخروج عن الذاتية والأصالة تقبل مطروحات الفلسفة الغربية والوافدة بغير مراجعة أو نقد أو تحليل من وجهة نظر إسلامية صحيحة قادرة على النظر الصحيح ، متسلحة بمفاهيم الاسلام الأصيلة ، وأخطر ما هنالك النظر إلى هذه المطروحات على أنها علم أو على أنها حقائق مسلم بها ، أو على انها من المعرفة الانسانية المقررة فانها ليست كذلك ، وأنها في حقيقتها لا تعدو أن تكون وجهات نظر بشرية وفروض قابلة للنظر ، فيها الصحيح وفيها الخطأ ، وهي تدرس في إطار عصرها وبيئتها والتحديات التي واجهت المفكرين الذين طرحوها ، وإن من أخطر عيوبنا في تلقي الفكر الغربي الوافد ، أن نظن أنه من المسلمات أو من الحقائق العلمية .

ولا ريب أن دراسة مذاهب الفلسفة الغربية المعاصرة « والفكر الغربي كله بشقيه » ضرورة ، ولكن يجب ان يحتشد لها الدارسون بمعرفة عميقة ومكثفة

لمفاهيم الاسلام نفسه الذي قدم للبشرية منهجا ربانيا اصيلا ، قادرا على العطاء على مختلف العصور والبيئات دون ان يصيبه ما يصيب الفلسفات الوافدة من العطب أو التحلل او الانهيار ، بما يدفع أصحابه إلى الأضافة إليه أو الحذف منه أو تعديله ، ومقياس آخر هو مدى ما حققت هذه الفلسفات لمجتمعاتها ، ونحن نرى المجتمعات الغربية « ليبيرالية وماركسية واشتراكية » تئن تحت وطأة الانهيار الخلقي والقهر والاستبداد والتمييز العنصري أو التحلل الاجتماعي المتمثل في حركات الرفض المعاصرة بين الشباب « كالهيبية وغيرها » .

وجميعها ثمرة نقص هذه المناهج وماديتها وإنحرافها وإبتعادها عن تكامل العطاء الاسلامي الجامع للجسد والروح ، ومصدر إنهيارهاهو إبتعادها عن المصدر الحقيقي للحياة والكون والعلم وهو الله تبارك وتعالى ، وإقصاء الدين عن واقع المجتمع أو محاربته علانية .

فاذا تعمق الشباب المسلم في دراسة مفاهيم الدين الاسلامي وقيمه الأساسية ومعطياته الربانية ، التي تهدي القلوب وتعصم النفوس وتطلق النفس بالرضا والايمان والعزم ، أمكن مجابهة هذه المذاهب الفلسفية الوافدة سواء في مجال الفلسفة ذاتها أم في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية ، ومناقشتها والرد عليها والتصدي للوافدات ، ومن هذا الفهم يصل الباحث المسلم إلى أن مذاهب الفلسفة في عالمنا المعاصر - على حد التعبير - القائل -

« ليست سوى إجتهادات قابلة للصواب والخطأ ، ومن ثم فليس لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ، فلكل أمم عقائدها وقيمها وفلسفتها التابعة من واقع تراثها ، وأن نعرف بالبديهة أن ما يصلح لمجتمعات الشرق أو الغرب لا يصلح بالضرورة لمجتمعاتنا ، بل قد توقع بها أبلغ الضرر ، ولهذا لا يجوز أن نستورد فلسفات هي نتاج عصرها وبيئتها ولا تصلح لغير هذه البيئة وذلك العصر » .

والمعروف أن هذه الفلسفات مادية الأساس ، فهي تلتمس ماديتها من فلسفة العلم وليس من العلم الطبيعي نفسه ، الذي لا يتعارض مع الاسلام وفلسفة العلم ، هذه المادية هي وحدها التي تعارض مفهوم الدين المنزل وهي التي تقوم على إبعاد فكرة الاله الخالق عن مجال البحث وحصر اليقين في دائرة الحس .

ومن هنا يأتي فصل هذه الفلسفات ، ويأتي ذلك الفارق العميق البعيد بين النظرة الاسلامية الجامعة القائمة على الروح والمادة ، والعلم والدين ، والدنيا والآخرة ، وهي النظرة التي تؤمن بالله تبارك وتعالى ، خالقا ورازقا ومدبرا لكل أمر ، وهو الذي علم الانسان ما علم من ثمرات العلم ، وكشف له من سنن العلم

والحياة والحضارات ما مكنه من إنشاء هذه الدائرة من المعرفة .

ومن هذا المنطلق المادي المنحرف يجيء الخطر ، الذي لا تكشف عنه دراسات الفلسفة التي يتلقاها أبناؤنا في الجامعات والمعاهد ، من حيث يتلقون هذه النظريات المادية على أنها علم ومسلمات في محاولة لاحتواء العقول الشابة وراء تفسير مادي للوجود أو تفسير مادي للتاريخ أو هما معا . وعلينا أن نعرف أن

الفلسفة الهلينية القديمة حين غزت الفكر الاسلامي في القرن الثالث ، طرحت هذه السموم من الالحاد والاباحية ، وخلقت جوا ملبدا بالاضطراب العقلي والروحي الذي كافحه علماء الاسلام وازالوا خطره وأبانوا عن سمومه وفساده ،وها هي الفلسفة الأوروبية المعاصرة تعود اليوم ، لتغزو عالم الاسلام تحت تأثير سيطرة النفوذ الأجنبي على بلاد الأسلام ، وهي فلسفة غلب على مدارسها ومذاهبها « الالحاد الصريح » نتيجة الغرور بتقدم العلوم المادية والصناعات في أوروبا ، ثم أفرزت مفاهيم الوجودية والهيبية ، نتيجة التشاؤم الذي ساد المجتمعات الاوروبية بعد الحرب العالمية الثانية ، ولقد كان لانتشار هذه المفاهيم التي طرحتها فلسفات الرأسمالية والماركسية أثرها في نشر الفرقة والصراع وتعدد المذاهب مع الجدب والجفاف ، مع الحيرة والقلق ، فأصابت المسلمين سنة التشتت ، وما كان من غلبة العقلانية غير المسؤولة ، بينما يدعو القرآن للايمان بـالغريـزة . والفطرة والاكتساب .

ومن هنا كانت دعوة الاسلام صريحة في أن العقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة الله تبارك وتعالى ولا أن يهتدي إليه ، إلا إذا صحب في تطوافه إلى تلك الغاية قلبا يتلقى عنه كل مدركاته ، وقد إعتمد دعاة الاعتزال على العقل ، فانحرف بهم عن الجادة ، وعن وسطية الاسلام الجامع بين الروح والعقل .

وقد كان الاسلام أوفى ما تكون العقائد حقائق تمس شغاف القلب وأشواق الروح وتقنع العقل ، ولذلك فان الذين كتبوا عن الاسلام عن طريق الفلسفة « فريد وجدي ، محمد عبده ، العقاد » لم يستطيعوا أن يصلوا إلى القلوب .

وكما جاء هذا الخطر من جانب العقليين ، فقد جاء الخطر الآخر من بعض المتصوفة ، حين إنحرفوا إلى تفسيرات فلسفية حلولية وعنوصية غاية في الغرابة ، أما الطريق الصحيح فقد رسمه القرآن الكريم الذي جاء المثل الأعلى في العطاء العقلي والروحي للنفس الانسانية ، فقد صقل القلوب وهذب النفوس وقوم الأخلاق ، وبذلك تكشف خطر الدراسات المصبوبة في قوالب المنطق الجدلي ، الذي أدى إلى تعدد الفرق والمذاهب وتوسيع شقة الخلاف .

وهذه غاية دعاة الفلسفة والعقلانية في العصر الحديث .

ولقد كان الاسلام سهلا ميسرا ، من روح الفطرة ، فهو لا يحتاج إلى منهج فلسفي ليكشف جوهره اليسير ، كما احتاجت تفسيرات الأديان المعقدة ، وكان موضوع الفكر الاسلامي الدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده ، وغايته إقامة النظام الاسلامي الذي يضمن إستمرار هذه العبادة وعلى هذا الاساس لم يكن في حاجة إلى فلسفة ميتافيزيقية لكي يثبت صلاحيته أو يركز دعائمه .

وقد قيل : « إن الفكر الاسلامي ينطلق من الايمان بالله لينتهي بمزيد من الايمان ، أما الفكر الفلسفي فيبدأ من نقطة الصفر بتساؤله عن المصدر الأول للكون والأشياء لينتهي بانكار الخالق والايمان به على الطريقة الفلسفية ، هذه النتيجة تجعلنا نرفض الفكر الفلسفي في أصوله وامتداداته ، لأن الفكر الاسلامي

فكر مؤمن منذ البداية ، موضوعه الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وغايته إقامة النظام الاسلامي الذي يضمن استمرار هذه العبادة ، ومن ثم فليس في حاجة إلى الفلسفة ليثبت صلاحيته ، ولا في حاجة إلى مسايرة الفلسفة المادية الحديثة والأخذ بمعطياتها الفكرية والعلمية ، والاسلام يرفض جميع الاتجاهات التي توصف بالعلمية ، إذا قدمت مفاهيم مغايرة لمفاهيمه عن الله تبارك وتعالى وعن الحياة والمجتمع والانسان . ومحاولة التوفيق بين مبادىء الاسلام والفلسفات الديمقراطية أو الماركسية ، هي محاولة باطلة وزائفة وقديما فشلت محاولة التوفيق بينه وبين الفلسفة اليونانية » .

ولما كانت مطروحات الفكر الغربي كلها مطروحات بشرية فانها تعجز عن العطاء المتجدد ، وعن العطاء الجامع ، وتعجز عن أن تقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى فضلا عن أن الغرب لا يملك منهجا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع ، وأن النظرية المادية هي رد فعل الكهنوت ، وأن الماركسية هي رد فعل الرأسمالية ، وأن الفلسفة الغربية تعتمد على معطيات العلم التجريبي المتغير والذي يفسد بسرعة .

ويقرر بعض الباحثين أن جميع الفلسفات التي نادى بها مفكرو العصر ، تقوم على تقويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترح فمنها من يقترح ألوهية المادة ، ومنها ألوهية الانسان ، ومنها من يجعل الغريزة محور تفسير الوجود وأن الدين الوحيد الذي صفت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك ، إنما هو الاسلام ، وترمى طرح هذه الفلسفات الى تدمير العقيدة الاسلامية ، لأنها العقبة الكؤود على طريق سيطرة الأهواء الحديثة على مصائر البشر ، وإذا كانت الماركسية في حقيقتها تدميرا لفكرة « الالوهية » ، وربطا للانسان ومصيره بمصير المادة المحسة ، وتفسيرا لحركة التاريخ بعوامل ليس

منها « ارادة الله » على أية حال فان عداءها الصريح لم يتوجه في الحقيقة إلا إلى الاسلام باعتباره معقل الفكر الديني ورمزا يجسد العلاقة بين الله الواحد والمخلوق . وهي تعد في ذلك أضرج حملة وجهها الفكر الحديث إلى معقل الوحدانية ، وإن بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت : « وهناك محاولة أقل غلوا منها ولكنها أشد مكرا ، هي محاولة الفلاسفة الوضعيين الذين يهونون من شأن الاسلام وحركة التاريخ ، وقد بدا ذلك واضحا في الكتابات التي قدمها « أوجست كونت » عن الاسلام ، وجمعها تلميذه « كريستيان شرفنيس » ، وقد سلك فيه المؤلف مسلكا يلتف بالنغمة الموضوعية ، فقد أشبع الرجل الاسلام مدحا وتمجيدا ، ولكنه لم يزد على أن عده « مرحلة » كانت ضرورية كحلقة في سلسلة تطور البشرية نحو الدين الجديد والنهائي : « الوضعية » .

وقد قيل إن : « الفلسفة لا مقياس لها فهي ظنية : اخفق منهج أرسطو وأخفق منهج (ديكارت) انها ظنية لانه لا يتأتى لها أن تفرق بين الحق والباطل ومادام لا سبيل إلى اليقين في موضوعات الفلسفة فان اختلاف الآراء فيها دائم ، هذا

الاختلاف عبر القرون والجدل دائم مستمر ، الاختلاف داخل المدرسة الواحدة ، يعلمون أن كل فيلسوف اتى قبلهم هدم آراء سابقيه جميعا ، ويقيم مذهبه على انقاض مذاهب سابقة فيأتي من بعده ويهدمه .

وبعد فان ثلاثة أخطار تواجه أصالة الفكر الاسلامي :

● « الأول » تفسيره فلسفيا ، « والثاني » تفسيره صوفيا « والثالث » تفسيره على أساس العقل وحده ، أو محاولة تجزئته مع مذاهب القومية أو الديمقراطية أو الاشتراكية ، وللاسلام منطلقه الخاص وذاتيته المطبوعة بطابع الفطرة والانسان والتوحيد المستمد من القرآن الكريم اساسا ومنهجا وأسلوبا للعرض والتفسير ، فاذا أريد إخضاعه لمنهج آخر غير منهجه فقد ذاتيته وطبيعته ، ولقد جرت المحاولات لاخضاعه في مرات متعددة ، وأخطرها مرحلة الاحتواء التي يمر بها الآن ـ ولكنه كان قادرا على مقاومة التبعية أو التماس الأصالة والعودة إلى المنابع كلما اضطربت الاجواء أو برزت الأزمات أو قامت التحديات والأخطار بالغزو العسكري أو الفكري جميعا .

وعلى الفكر الاسلامي في مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة في مطالع القرن الخامس عشر ، اليوم تحرير الاسلام من التبعية لأي مذهب فلسفي باسم التحديث أو التقدم أو العصرية ، كما يجب إخضاع مشكلاتنا المعاصرة لمبادىء الاسلام وأسسه وروحه ، لأن الاسلام وحي ثابت ، وما عداه من آراء البشر حادث متغير ، ولا يجوز إخضاع ما هو ثابت لما هو متغير .

المسلمون والايثار

للاستاذة : فتحية محمد توفيق

ان تعاليم الاسلام التي شرعها الخالق لاصلاح حال الخلق ، جاءت لتنقل البشرية الى حياة مشرقة بالفضائل . وما جاء به الاسلام من عقيدة ، وما افترضه الله على عباده من عبادات ، وما دعا اليه الرسول الصادق الامين من سلوك فاضل واخلاق حسنة . انما هو السبيل الوحيد للانسان لكي تسمو نفسه بالخير وتفيض بالمشاعر الرقيقة للمسلمين ، حتى انه ليحيا بهم ، ويحيا لهم ، لأن المجتمع الاسلامي علاقات بين افراد تجمعهم وحدة الهدف ، ادركوا ما بينهم من صلات كما ادركوا الوجود المشترك الذي يتبادلون في اطاره دفع الاضرار وتحقيق المنافع ، والذين يمارسون فيه السعي الجماعي من اجل المثل والقيم . واذا ما نصح الاسلام الانسان في معاملته للغير ، وفي معاشرته للاسرة ان يرعى حدود الروابط الانسانية ، وان يتبادل مع هذا الغير الشعور الانساني الكريم . واذا ما نصح الاسلام بذلك فانما يعني ان يكون هناك تجاوب انساني ، تستريح اليه النفوس وترضى عنه ، وليس تجاوب النفوس الا ظاهرة تعبر عن الادراك النفسي لجمال الألفة وعاطفة الاخوة الصادقة .

وحينما تطرأ على النفوس ادران الوساوس ، وتنتابها نوازع التفرقة والاثرة والانعزالية ، يأتي الاسلام فيسبدي المعونة الكاملة للانسان كي يدعم فطرته ويجلي اشعتها ، فيتحسس هذه النفوس ويغسلها مما علق بها ، ويجعلها حافلة بمشاعر ازكى وانقى ، والمؤمن في نظر الاسلام هو المحسن والمحسن هو صاحب الوجدان الرفيع ، صاحب الانسانية في سلوكه مع نفسه ومع غيره .. ان رسالة الاسلام ليست تخطيطا من انسان ، وليست طريقا من طرق التربية وضعه فرد من البشر . ان الاسلام وحي الله العليم بكل شيء . والاسلام ليس معرفة انه ايمان وتقوى ، انه ايمان بالله ، وخشية من الله ، وتقوى الله ، وهذا الايمان هو مصدر الدفع في الانسان نحو اطمئنان نفسه ، ونحو وعيه بالمجتمع ، ونحو

اسهامه في بناء المجتمع واستقراره .
واننا نرى في وضوح ان قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم تجعل النفس الانسانية تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالاداب والفضائل العظيمة .
ولقد اثبت التاريخ والتجربة ان هذا الايمان وهذا التصديق صنع رجالا ونساء اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة فكانوا يؤثرون اخوانهم بأموالهم وديارهم على انفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم في الغنائم من اجلهم ؛ ويقدمون حاجة اخوانهم على حاجتهم ، حبا لهم ، ورغبة في اخو تهم ..
والايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة .
ويقال : اثرته بكذا أي خصصته به وفضلته .. قال تعالى في سورة الحشر ، في شأن الانصار الذين آثروا المهاجرين بأموالهم وديارهم : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩ . ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)** اي يقدمون المحاويج على حاجة انفسهم ، ويبدأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (افضل الصدقة جهد المقل وابدأ بمن تعول) رواه ابو داود والحاكم . وهذا المقام اعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى :(**ويطعمون الطعام على حبه**) الانسان / ٨ و (**وآتى المال على حبه**) البقرة / ١٧٧ فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به .
وهؤلاء اثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما انفقوه .
ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك . فقال : ابقيت لهم الله ورسوله) رواه الترمذي والدارمي .
وفضيلة الايثار كان لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اهميتها لما لها من عظيم الاثر على اصحابه . فكان يحرص على ان يتخلقوا بها ويتجملوا بجميل فعلها وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام هو السباق الى ما يدعو اليه ويأمرهم به ، فاذا قصده احد في شيء وهو المحتاج اليه اعطاه رغبة في فعل الخير .
ان الايمان الصادق اذا صادف قلوبا هيئت له ، تمكن فيها ، ونما وترعرع واشرقت اثاره على من حولها ، وسعى اصحاب هذه القلوب في ادخال السرور على الغير ، والاخذ بأيديهم الى ما يحبون ، واصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ضربوا اروع المثل في هذا فكان اغتباطهم اكبر واعظم حينما يؤثرون الغير على انفسهم . ولقد كان لهذا الايثار اعظم النتائج في نشر

الاسلام والاهتمام بالمسلمين . ومما يذكر في تفسير القرطبي ان ابن المبارك قال : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ اربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام : اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها ، فذهب بها الغلام اليه . فقال : يقول لك امير المؤمنين : « اجعل هذا في بعض حاجتك » . فقال : وصله الله ورحمه . ثم قال : تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال : اذهب بهذا الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع فذهب بها اليه . فقال : يقول لك امير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك فقال : رحمه الله ووصله : وقال : يا جارية اذهبي الي بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ . فقالت : ونحن والله مساكين فاعطنا . ولم يبق في الخرقة الا ديناران قد جاء بهما اليها . فرجع الغلام الى عمر فأخبره فسر بذلك وقال : (انهم اخوة بعضهم من بعض) .

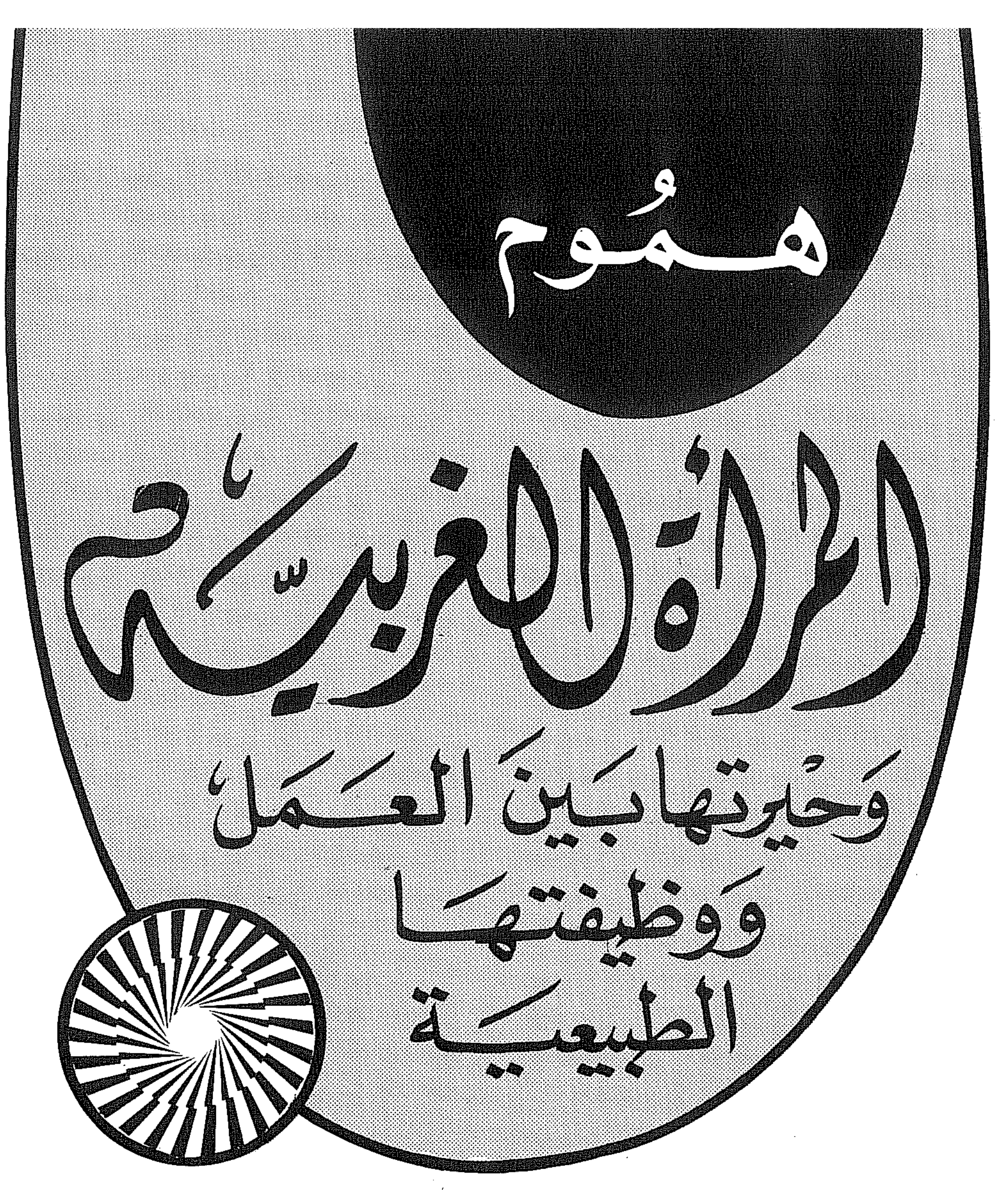
ان تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية حبا ورغبة فيما هو عند الله سبحانه وتعالى ، واملا في رحمته جل شأنه ، حصيلة ايمان كامل وثمرة يقين راسخ ولقد تألق المسلمون الاوائل في الايثار وبلغوا فيه الدرجة العليا ومكانة عظمى .

لقد اثمر الايمان بالله في قلوبهم ايثار الدعوة الى الله سبحانه وتعالى وحب رسوله على نفوسهم . فقدموا ارواحهم فداء للاسلام . وصاحب الرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، واصحاب المبادىء الحقة والدعوات الصادقة يقدمون انفسهم فداء للدعوة والذين شرح الله قلوبهم للاسلام وخالط شغافها ، وأشربت حبه ، لا تزعزعهم الاهوال مهما عظمت ، ولا تزلزل العواصف اقدامهم مهما قويت ، فالنفس هينة رخيصة ما دامت تبذل في سبيل العقيدة ، والموت ليس بالخطر الذي يهاب ، ما دام ذلك دفاعا عن الاسلام واستشهادا في سبيل الله . ولقد كان المسلمون الاوائل نماذج فذة في البطولة والتضحية والفداء ، وبهذا تهيب العدو بأسهم وخاف سلطانهم ، يقول العقاد في وصفه لابطال الاسلام في حروب الردة : (اذا كانت فتنة الردة قد كشفت عن زيغ وريبة المرتابين ، فهي قد كشفت كذلك عن الايمان اليقين والفداء السمح واليقين المبين ، فحفظت نماذج للنصر والشجاعة والايثار والحمية تشربها صفحات الاديان ، وجاءت الشهادة الاولى على لسان رجل من اصحاب طليحة سأله : (ويلكم ما يهزمكم) فقال : انا احدثك ما يهزمنا . انه ليس رجل منا الا وهو يحب ان يموت صاحبه قبله ، وانا لنلقى قوما كلهم يحب ان يموت قبل صاحبه) .

والمسلمون بفضل ما رسخ في قلوبهم من عقيدة تحث على البذل والبر والتواد والتراحم والتعاطف . لم

يكتفوا ببذل الطعام والشراب للغير ، وانما آثروا اخوانهم على انفسهم وقدموا ما يمسك حياتهم وان كانوا في اشد الحاجة اليه . قال تعالى :(**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا**) اي يطعمون الطعام وهم في محبة له وشغف به المسكين العاجز عن الاكتساب ، واليتيم الذي مات كاسبه ، والاسير المأخوذ من قومه المملوكة رقبته الذي لا يملك لنفسه قوة ولا حيلة وان ايثار اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما سابقوا به انفسهم من فعل الخير وايثار الغير على النفس يدعو الى اكبار وا عظام ما قاموا به ، ولقد وجد في المجتمع الاسلامي كثير من المؤمنين الذي سمت فطرهم وارتفعت غرائزهم وهم يؤثرون غيرهم بطعامهم وشرابهم رغم ما يواجهونه من صعاب . وما يتحملونه من اعباء ، رجاء رحمة الله وابتغاء رضوانه . وان قوة الايمان بالله يتجلى اثرها في الانسان عند تعرضه لموقف الاختيار بين ما عند الله وعند الناس والمؤمنون حقا يختارون ما عند الله جل شأنه فيضحون بكل ما يملكون غير خائفين في الله لومة لائم ، يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق ، ويبذلون النفس والنفيس ، ويطيقون المصاعب بصبر وثبات . والنفوس المؤمنة حق الايمان تنظر الى الغاية التي تريدها وتعمل على تحقيقها ، وهي في سبيل الوصول الى غايتها لاتهاب تكبر المتكبرين ولا تجبر المتجبرين ، ولا تحرص على زينة الحياة الدنيا وزخرفها وترفها ، لانها آمنت بحياة اكبر واعظم من هذه الحياة ، فيها الخلود ، وفيها رضوان الله قال تعالى في سورة البقرة : (**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**) البقرة / ٢٠٧ . أي ومن الناس فريق يبيع نفسه لله لا يبغي ثمنا لها غير مرضاته ولا يتحرى الا صالح العمل وقول الحق ، مع الاخلاص فيهما ، فلا يتكلم بلسانين ، ولا يقابل الناس بوجهين ، ولا يؤثر عرض الدنيا وزخرفها على ما عند ربه والقلوب المؤمنة تواقة دائما الى فعل الخير ، حريصة عليه لرفع منزلتها ، واعلاء مكانتها عند ربها . والمؤمنون كلما أقبلوا على الله وتفانوا في حبه وطاعته ، ازدادوا يقينا به واقبالا عليه ، وتضحية في سبيل اعلاء كلمته ، لا ترهبهم الدنيا ومن فيها ولا يخضعون لتقليد الغرب او الشرق ، ولا يكونون عبيدا لعادة .

والمسلمون الاوائل بتمسكهم بتوجيهات الاسلام استطاعوا ان يوحدوا صفوفهم ويقيموا امة قوية الجانب ، عزيزة الكلمة . لقد آثر كل منهم اخاه المسلم بما عنده ، وقدمه على نفسه ، فغرسوا بفضيلة الايثار شجرة الاخوة والتراحم ، واكدوا روابط الأخوة بينهم ، فسادوا في الارض ، وكتب الله لهم النصر ، وامتنا الاسلامية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في اشد الحاجة الى التمسك بالفضائل والقيم الاسلامية .



للأستاذ : علي القاضي

كان للتطور الصناعي في الغرب اثر كبير في خروج المرأة للعمل ـ لانه افقدها تماسك الاسرة ـ فاصبحت لا تجد من يعولها فاضطرت الى الاعتماد على نفسها وخرجت للعمل وبدأت الافكار الجديدة تنتشر عن عمل المرأة ومساواتها بالرجل واثبات وجودها وكيانها وما الى ذلك من الافكار التي سادت في الغرب فصدقتها المرأة وصدقتها المجتمعات المختلفة ـ ثم انتقلت هذه الافكار الى المجتمعات العربية والاسلامية .

والآن وبعد مضي فترات طويلة

من عمل المرأة بدأت الصحف تنشر اخبارا عن هموم المرأة العاملة في الغرب .

لا مساواة لا عدالة لا تكافؤ :

هذه صرخة المرأة في المجتمعات الغربية كما جاء في الدراسة التي نشرتها صحيفة العرب القطرية بتاريخ ١١ من يونية ١٩٨٠م وقالت : ان الكونجرس الامريكي ليس به الا ١٧ امرأة ، وواحدة في مجلس الشيوخ الامريكي - وفي فرنسا ١٨ نائبة من اصل ٤٩١ وفي سويسرا ثلث النساء حرمن من التصويت .

وفي امريكا :

لا تتمتع المرأة في الولايات المتحدة بمساواتها مع الرجل حتى من الناحية الشكلية - وهذا الحكم اطلقته اللجنة الامريكية للحقوق المدنية - وتؤكد هذه اللجنة ان القوانين السارية في الولايات المتحدة - تقنن الظلم الذي تتعرض له النساء الامريكيات عبر اعطائها امتيازات للرجل على المرأة اكثر من ٨٠٠ فصل ومادة من هذه القوانين السائدة .

وقالت الدراسة : ومنذ نصف قرن لم يبت في مصير التعديل السابع والعشرين للدستور الذي ينص على المساواة امام القانون بغض النظر عن الجنس - وذلك لان التعديل يحتاج الى موافقة ٣٨ ولاية من الخمسين - وحتى الآن لم يوافق على هذا التعديل سوى ٣٥ ولاية .

كان أجر المرأة في عام ١٩٥٩ هو ٦٣,٩٪ ، من اصل اجر الرجل الحاصل على نفس المؤهل ، وفي عام ١٩٧٨ انخفض الى ٥٨,٩٪
وقالت مجلة بنش : ان واقع المرأة الامريكية هو الاجر المنخفض وظروف العمل الصعبة والتمييز المهني وقلة مؤسسات تربية الاطفال

في ايطاليا : تحصل المرأة على اجر يقل عن الرجل بـ ٣٠٪

وفي فرنسا : يصل الفرق الى ٣٣٪

وفي اليابان يصل الى ٤٠٪

وفي **سويسرا** : نشرت اللجنة الاتحادية السويسرية تقريرا حول وضع المرأة قالت فيه :

« ان ثلث النساء السويسريات محرومات حتى الآن - لاسباب مختلفة - من حق التصويت في انتخابات هيئة الادارة المحلية وان قضية مساواة المرأة بالرجل في سويسرا ما زالت دون حل .

وفي امريكا : لا تشغل المرأة سوى ٥٪ من الوظائف المنتجة وبصورة اساسية في هيئات السلطة المحلية - اذ يبلغ عددهن حوالي ٥٩,٣٪ من السكان ، و ٥٣,٢٪ من الناخبين ومن اصل ٥٥٤٧ مقعدا في برلمان السوق المشتركة التسعة يوجد ٣٥٧ نائبة اي اقل من ٦٪ من البرلمانيين - بينما

تقترب نسبة النساء في هذه البلدان من ٥٢٪ .

والبرلمان الياباني ليس به الا ٣٪ من النساء من أعضاء البرلمان .

البطالة : وتقول الدراسة : ان البطالة تنتشر في صفوف النساء في امريكا اكثر بمرة ونصف المرة من انتشارها في صفوف الرجال - وتبلغ نسبة النساء اللواتي يعشن تحت مستوى الفقر المتعارف عليه ٦٣٪ من الامريكيين .

وفي امريكا كانت نسبة الفتيات خلال عام ٧٦/٧٧ الدراسي من طالبات الجامعة على النظام الاتي : من طالبات الطب ٢٥٪ ومن طالبات الهندسة ٦٪ ومن طالبات الحقوق ٢٠٪ ومن طالبات الفيزياء ١٪ ومن العاملات المؤهلات فنيا ٣٪ .

وتقول مجلة بواس نيوزاندود ولد ريبورت : ان ٨٠٪ من الامريكيات العاملات يتقاضين رواتب متدنية قياسا الى رواتب الرجال .

وفي فرنسا : كثير من المعاهد العليا والمدارس المهنية الفرنسية مغلقة في وجه الفتيات ولا يدرس في المعاهد التجارية الفرنسية سوى ٧٠ طالبة من مجمل ٥٢٠٠ وفي معهد الالكترونات والاجهزة الالكترونية يدرس به ٦٢ طالبة من اصل ٢٦٠٠ ونسبة المهندسات ٨ ، ١٪ والطبيبات ٦٪ والفنيات ١١٪ .

في اليابان : لا تزيد نسبة من يلتحقن بالمعاهد العليا هناك عن ١٠٪ ممن انهين الدراسة الثانوية - اما فرص الحصول على عمل بعد الدراسة الثانوية فهي قليلة - وفي عام ١٩٧٩ لم يحصل سوى ٢٠٪ من خريجات المعاهد العليا والكليات التي تستمر مدة الدراسة فيها سنتين على عمل - وتشكل النساء ٨٪ من المدرسين في المعاهد ، و ١٠ ٪ من الاطباء .

ونسبة النساء اللاتي يتمتعن بعضوية النقابات الامريكية في تناقص مستمر - فقد كانت النسبة ١٧٪ في عام ١٩٥٠ وأصبحت ١٢،٥٪ في عام ١٩٧٨ والامريكيات غير النقابيات محرومات عمليا من الحماية القانونية ومن المعاش التقاعدي والاجازات السنوية والاجازات المرضية المدفوعة الاجر - واجور هذه الفئة من النساء تقل بنسبة ٢٥٪ عن النساء النقابيات مما يزيد من متاعب المرأة العاملة في المجتمعات الغربية - ومما يزيد من متاعب المرأة عدم وجود مؤسسات لتربية الاطفال وعدم وجود قوانين لحماية الطفولة والامومة او ضمانات لاجازات الحمل والولادات المدفوعة الاجر - وفي هذا الصدد ذكرت مجلة « بوليتكل افريزر » الامريكية مثلا : ان مؤسسات حضانة الاطفال في الولايات المتحدة لا تتسع لاكثر من مليون طفل وهذا رقم متواضع للغاية .

هموم المرأة الامريكية :

وقد نشرت صحيفة الاهرام القاهرية بتاريخ ١٢/٧/ ١٩٨٠ دراسة تحت عنوان هموم المرأة الامريكية قالت فيها : تقول جلوريا ستاتيم رئيسة تحرير مجلة « مز » ان هذه القضية اساسية لانها تمس آدمية المرأة ـ ولا بد ان يتحرر جسد المرأة كأساس للتحرر السياسي وهذه القضايا هي : الاعتداء على الفتيات والنساء وضرب الزوجات والاضطهاد بسبب الجنس والعنف داخل العائلة والاجهاض ـ ولكن ليس معنى هذا ان المرأة الامريكية تركت جانبا بقية القضايا وفي مقدمتها المساواة في الاجر ـ فمن الثابت حسب احصاءات مكتب العمل ان المرأة التي تقوم بنفس العمل ـ عمل الرجل ـ تحصل على اجر يوازي ٦٣٪ من اجره فقط .

ومنها فرص التدريب والتقدم المهني .

ومنها الامن والامان في الوظيفة ـ فالمرأة نظرا لحداثة عهدها بالعمل هي آخر من يعين واول من يفصل .

ومنها الاضطهاد بسبب الجنس .

ومنها دور الحضانة ـ فاحصاءات ١٩٧٨ تقول : إن ٥،٨ مليون امرأة عاملة اي ٤٤ ٪ من مجموع قوى العمل النسائية لديهن طفل واحد على الاقل في سن ما قبل الدراسة ـ وذلك مقابل ٣٠٪ سنة ١٩٧٠ وهذا يعني انه مطلوب ٥,٨ مليون مكان على الاقل في دور الحضانة ـ بينما المتاح هو مليون مكان فقط .

الأرقام تقول :

وماذا تقول الأرقام عن المرأة ؟

ان الأرقام تقول : انه من بين ٤٤١ مهنة وعمل ووظيفة فإن المرأة لا تعمل سوى عشرين نوعا .

وان النساء اللاتي يمكن القول بانهن وصلن الى مراكز مرموقة لا تزيد نسبتهن عن ٢,٣ : والمعيار هنا هو الايقل المرتب عن ١٥ الف دولار .

والمرأة في مجموعها لا تحصل على اجر متساو مع الرجل وتتحمل اعباء اكثر من طاقتها فهي تعمل في البيت بالاضافة الى ٨ ساعات يوميا .

قضايا اخرى :

وتستمر الدراسة قائلة : إن قضايا ضرب الزوجات وإساءة معاملتهن اصبحت تمثل المكان الاول في قضايا الطلاق وبلاغات الشرطة ـ فضلا عن أن الزوجة تستمد رخصها الاقتصادي من زوجها ـ بمعنى انه بمجرد طلاقها

تفقد حقها في ان يكون لها وضع اقتصادي يسمح لها ان تبتاع بالتقسيط « وهي قضية اساسية في امريكا » .

بالاضافة الى ان عمل الزوجة - وبخاصة في الريف - لا يعتبر عملا انتاجيا اقتصاديا لها - اذ يخضع نصيبها في الميراث لضريبة التركات بعكس زوجها المعترف بدوره الانتاجي فميراثه من زوجته لا يخضع للضريبة - والمرأة الامريكية بعد زواجها تدفع ضرائب دخل بنسبة اعلى من غير المتزوجة - ولذلك فقد بدأ عدد من الازواج ينفصلون بالطلاق عندما يقترب موعد تقديم الاقرار الضريبي ثم يتزوجون من جديد بعد تقديم الاقرار الضريبي .

المساواة الشكلية وماذا أنتجت ؟

وفي دراسة عن اول حركة انشقاق نسائية سوفييتية كشفت تدهور اوضاع المرأة في ظل المساواة الشكلية وكيف اظهرت الجنس الثالث بعد تحرير المرأة الروسية وقد نقلتها صحيفة الاهرام القاهرية بعددها الصادر يوم ١٩٨٢/١/٣ عن الاوبزرفر وجاء في هذه الدراسة ما يأتي :
« ظهرت ضمن جماعات المنشقين في الاتحاد السوفييتي مؤخرا حركة نسائية منشقة بدأت في مدينة لينجراد ، وراحت تنتشر في مختلف انحاء الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشيوعية .

ولقد كانت منشورات ومطبوعات المنشقين السوفييت التي تصل الى دول الغرب حتى السنوات الاخيرة لا تشير الى حقوق المرأة في حد ذاتها - وتركز فقط على حقوق الانسان بصفة عامة - وكان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو كتاب العالم السوفييتي الشهير اندريه زخاروف « الخطر والامل » الذي لفت الانظار الى الاثار الخطيرة التي ينتجها النظام الشيوعي السوفييتي الشمولي على الصحة البدنية والعقلية للنساء وتدهور معدل المواليد في الاتحاد السوفييتي بسبب هذه الآثار .
وفي ١٠ ديسمبر ١٩٧٩ - وهو يوم الاحتفال بذكرى اعلان حقوق الانسان ظهرت اول نشرة متخصصة في شؤون المرأة تحت عنوان « تاريخ المرأة الروسية » قامت بتحريرها النساء المنشقات وتضمنت مقالات وبحوثا واشعارا وقضايا تاريخية حول مشاكل المرأة على وجه الخصوص - وكشف النقاب عن الفارق بين صورة المرأة في الايدلوجية الشيوعية وبين الواقع المرير الذي تحياه النساء في الواقع داخل الاتحاد السوفييتي .
وفي هذه النشرة ذكرت النساء قصص الاجهاض في مستشفيات الاجهاض التي اطلقوا عليها

وصف « مفارم اللحم » ـ كما ذكرت ايضا حكايات عن اغتصاب الازواج المخمورين لزوجاتهم ومعسكرات الاعتقال الصغيرة التي يعيش فيها الاطفال تحت اسم معسكرات الطلائع والسجن بتهمة البطالة والطفيلية التي توضع فيه النساء وغير ذلك من الروايات .

وقد كان لهذه النشرة النسائية تأثير مدو ـ ليس فقط في داخل روسيا ـ وانما ايضا في الخارج ـ وبخاصة في اوساط الحركة النسائية في باريس حيث ظهر لها فورا نسخة ترجمت الى الفرنسية ـ واهتمت الصحف النسائية وغير النسائية في فرنسا بكاتبات هذه النشرة واجرت معهن الاحاديث الصحفية المتعددة حول اوضاع النساء في الاتحاد السوفييتي .

وعلى الرغم من التشابه بين بعض مشاكل المرأة الروسية ومشاكل النساء في الدول الغربية ـ فان معظم المشاكل التي ذكرتها النشرة كانت مشاكل روسية بحتة ـ وكان واضحا ان النساء السوفييت معجبات بالمدى الذي وصلت اليه حركة المرأة الغربية ، ولكنهن لا يشاطرنها نفس الامال التي زعمن انها تحققت بفضل الثورة الروسية ـ حيث اصبحت المرأة الان في الاتحاد السوفييتي رائدة فضاء وعاملة في المصانع .

بل على العكس ـ فان معظم مطالب المرأة الروسية كانت تسير في خط معاكس ـ فالمساواة التي وعدتهن بها الثورة الروسية ـ قد دمرت نمط الحياة النسائية السابقة دون ان يؤدي ذلك الى اسعاد المرأة الروسية بأي حال من الاحوال ـ وكما ذكرت الصحفية المنشقة كبرا سايكير :

لقد كف الرجل عن ان يكون حامي المرأة ولم يتحول الى شريك يشاطرها كل شيء وقد حذرت هذه الصحفية في مقالها نساء الغرب من التطرف في دعوة المساواة ، التي تدمر قيم الاسرة والامومة ، وتطيح بدور المرأة مصدرا للحب والاستقرار ـ والحركة لا ترفض مبدأ المساواة ـ ولكنها ترفض المساواة الشكلية التي تساوي المرأة بالرجل حتى في الاعمال التي يسعى العالم الى تخليص الرجال منها .

مساواة زائفة :

أما تاناتيا ناجو تشيفا ـ وهي فيلسوفة ذات تعليم ماركسي فقد ايدت في مقالها كل ما ذكرته زميلتها الصحفية كبرا سايكير واضافت تقول : « ان نظام التعليم السوفييتي قائم على اساس مساواة مثالية زائفة بين الرجل والمرأة تنطوي في حقيقتها على احتقار للأنوثة ـ وان هذا النظام لم يؤد الى تحرير المرأة ، وانما ادى الى تأنيث الرجال بعد ان فقدوا

حريتهم وقدرتهم على تحمل المسؤولية » .

جنس ثالث :

وقالت تاناتيا في مقالها : ان المرأة في الاسرة التي تحللت بسبب ادمان الرجال للخمور وايضا في المصانع تشكل قوة العمل الرئيسة ، وان العمل في المصنع والبيت يثقل كاهلها ويدمر معنوياتها - وذكرت أن المرأة والرجل على السواء قد تحولا في المجتمع السوفييتي الى جنس ثالث هو جنس سوفييتي محض لا مثيل له في اي مجتمع اخر .

وبالطبع قامت المخابرات السوفييتية بتبديد هذه النشرة وقامت ايضا باعتقال بعض مؤسسات الحركة النسائية المنشقة الجديدة مثل « نانيانا نابونافا » وهي شاعرة وفنانة تم نفيها مؤخرا خارج الاتحاد السوفييتي - وذهبت للعيش في باريس ومثل الكاتبة بليافوز نيسكايا التي تمضي حاليا حكما بالسجن لمدة خمس سنوات في احد معسكرات الاعتقال الروسية .

ومع ذلك فقد استمرت الحركة النسائية منذ عام ١٩٧٩ ، وواصلت عملها حيث تقوم النساء حاليا باعداد النشرات والمقالات ضد الغزو السوفييتي لافغانستان - واخيرا ضد التهديد السوفييتي لبولندا .

وقد اطلق هؤلاء النساء اسم « نادي مريم » على جماعتهن واختاروا كلمة « نادي » بالذات ، حتى يتجنبن مطاردات البوليس السوفييتي اذا هن اطلقن على انفسهن جماعة او جمعية او اتحادا - كما نسبن انفسهن الى مريم العذراء كمثل اعلى لهن - وهو مثل ديني اعلى ، ويعتبر ظهوره في دولة مثل الاتحاد السوفييتي تطارد الاديان اكثر من ستين عاما منذ قيام الثورة الشيوعية امرا خطير الدلالة .

تعارض المساواة :

وقد ظهرت في الولايات المتحدة زعيمة جديدة فهي تعارض حركة تحرير المرأة في امريكا التي تطالب بتعديل الدستور الامريكي للنص صراحة على المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

ان السيدة فليس شافلي المحامية المعروفة زعيمة الحركة المضادة لمساواة الرجل والمرأة تقول : انها استطاعت ان تقنع اغلبية امريكية انها نصيرة العائلة ونصيرة ربة البيت ونصيرة الاخلاق الفاضلة ، وان خصومها ضد كل هذه الفضائل وان نصراء تحرير المرأة يشقون الزوجة الامريكية بدعاياتهم الفارغة .

ان الزوجة الامريكية سعيدة الآن - فهي التي تدير بيتها وهي التي تصدر القرارات ولكن يجب

ان تحترم زوجها او تعتبره رب العائلة .

واجب الزوجة :

وتستمر فليس قائلة : واجب الزوجة ان تستقبل زوجها بابتسامة كما تفعل الجرسونة في المطعم عندما تستقبل زبونا جاء لتناول الغذاء ـ انني معجبة بمسز مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا ـ فانها قبل ان تذهب في الصباح الى مكتبها فانها تعد بنفسها طعام الافطار لزوجها وابنها وابنتها ـ ولا تهمل اطعام اسرتها بحجة انها مشغولة بإدارة الحكم في بريطانيا ـ من حق المرأة ان تعمل بشرط ان تؤدي واجباتها كزوج وأم ـ فاذا لم تستطع ان تجمع بين العملين فعليها أن تستقيل أو تبحث عن عمل خفيف .

وتقول « ان مساواة المرأة بالرجل فيه القضاء على الاسرة وفيه القضاء على حلاوة الحياة الزوجية » . الاخبار القاهرية ٢١ / ١ / ١٩٨٢ » .

وهي تعارض تعديل الدستور بحيث ينص فيه على المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، لأن احدى نتائجه في رأيها سوف يكون تجنيد الفتاة ونزولها الى ميدان الحرب والقتل والتدمير وانه من الممكن ايضا ان يهدد وضع الزوجة .

وهكذا تتضح لنا جوانب غامضة من هموم المرأة العاملة في الغرب ترويها لنا المرأة المتفتحة الواعية محاولة ان تبصر بنات جنسها بالمستقبل المظلم الذي ينتظرهن .

ونمضي مستعرضين آراء المرأة الغربية فيما وصلت إليه الآن .. وما تعانيه من واقع مؤلم .. فمتى خرجت المرأة إلى العمل ؟

متى خرجت المرأة الى العمل ؟ ولماذا خرجت المرأة الى العمل تاركة وظيفتها الأساسية ؟

تجيب على ذلك الدكتورة مرجريت بش عالمة انتوجرافية (متخصصة في علم السلالات البشرية) وانتروبولوجية (متخصصة في علم البشريات) في الولايات المتحدة الامريكية وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة مستقبل التربية التي تصدرها هيئة اليونسكو العدد الثالث عام ١٩٧٥ قالت العالمة :

حدث في العالم ثورتان ادتا الى تغيير الوظيفة الرئيسة لكل من الرجل والمرأة تغييرا جذريا .

١ ـ الثورة الصناعية :

التي طوحت بالمرأة في عالم حرمت فيه من القلب الحنون فلم تجد أبا أو أخا أو زوجا أو قريبا ـ يعنى بها وبأولادها ـ وبذلك نشأ ضرب جديد من الاستغلال .

٢ ـ الثورة الطبية :

التي كافحت الامراض الوبائية وخفضت من وفيات الاطفال ومكنت المرأة من تحديد النسل وقللت الانجاب .

فالمرأة اذن قد اضطرت الى العمل اضطرارا ـ وحين كثرت النساء العاملات ـ ظن الناس ان هذا هو الوضع الطبيعي ـ ولعل هذا هو الذي جعل الامم المتحدة تقرر اعتبار عام ١٩٧٥ عاما دوليا للمرأة ـ وقد دعا مؤتمر المرأة في عامها الدولي لاشراك النساء اشراكا كليا في تحقيق الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية كما دعا لاسهامهن في تحقيق التعاون والتفاهم والصداقة بين شعوب الارض قاطبة .

ومن هنا فاننا نلاحظ ان المرأة نفسها قد خدعت بهذه الفكرة واصبحت تنادي بها على انها ميزة لها .

على ان بعض النساء تنبهن الى خطورة هذه الفكرة ونادين بعودة المرأة الى وظيفتها الطبيعية .

فالسيدة جان مارتان سيسه : سفيرة غينيا لدى الامم المتحدة ـ تعرضت لهذا الموضوع في مجلة مستقبل التربية فقالت : في المجتمعات المتمسكة بالتقاليد القديمة ينتمي الفرد فيها الى الجماعة او العشيرة وتتسم تربيته بطابعها ـ ولما كانت المرأة هي نواة الخلية الاجتماعية ـ اي نواة الاسرة ـ فهي اقدر من سواها على القيام بتربية الطفل وتهذيبه ـ وهي امينة على التراث الموروث . وأضافت السيدة جان قائلة :

● « الإنجاب كان مهمة المرأة الاولى ـ وكانت المرأة هي التي تقوم بتربية اولادها ـ فهي التي تتولى تشكيل العجينة تاركة للمجتمع القيام بإتمام عجنها ـ وقد تميزت هذه التربية بغرس الشعور بالشرف منذ الصغر وتقوية الرغبة في الدفاع عن الوطن والركون الى الاعمال النبيلة . »

ثم قالت : « والمساواة بين الرجل والمرأة في تربية الاطفال لا وجود لها ـ لان المرأة هي التي تقوم بتربيتهم ـ ذكورا كانوا ام اناثا ـ فهي التي تربي الرجل ـ ولذا وصفت بأنها المربية الاولى والمعلمة الرائدة » .

ماذا تستهلك المرأة ؟

وحين خرجت المرأة للعمل زاد استهلاكها لأشياء كثيرة حسب طبيعة وضعها الجديد .

ماذا تستهلك المرأة ؟ سؤال تجيب عليه ماري التو الباحثة بجامعة باريس ومستشارة اليونسكو في مجلة مستقبل التربية فتقول :

« اصبحت المرأة الحضرية في

مجتمع اليوم اساسا للاستزادة من المال والارباح ـ هدفا للاغراء والترغيب في الاقبال على الاستهلاك من مختلف البضائع المطروحة للبيع في الاسواق .

والواقع ان المرأة الحضرية أكثر من زوجها تأثرا بالدعاية الضخمة المغرية التي يطلقها التجار ترويجا لبضائعهم وترغيبا في شرائها .. ويلاحظ ان المرأة العاملة يتخفف زوجها من اعباء التموين المنزلي ومشاكله ليلقيه على عاتقها مستريحا مطمئنا » .

وتستمر ماري التو في حديثها قائلة :

« ومن اهم السلع التي تهتم بالدعاية التجارية بالترويج لها واغراء النساء بالاقبال على شرائها ـ مواد التجميل وادواته من الثياب المتطورة المتغيرة تبعا لتغير الفصول والشهور ـ بل والايام احيانا ـ وهكذا تجد المرأة نفسها عرضة للاستهلاك في ميولها وعواطفها فضلا عن استغلالها في ميادين الاعمال » .

هل المرأة سعيدة بخروجها الى العمل ؟

سؤال تجيب عليه الكاتبة الانجليزية الشهيرة « انا رورد ـ في مقالة ـ نشرتها جريدة الاسترون ميل الانجليزية فتقول :

« **لان تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم ـ خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الأبد ـ ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداء** ـ إنه عار على بلاد الانجليز ان تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ـ فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في **البيت وترك اعمال الرجال للرجال** سلامة لشرفها وحفاظا على أنوثتها » .

عميدة أمريكية تقول للطالبات :

« اتركن هذه الشعارات »

في ولاية انديانا الامريكية ـ كان النقاش حادا بين واحد من الدارسين العرب وبعض الطالبات في الجامعة في اثناء دراستهم العليا ـ هو يدعو الى الاسلام الذي رعى حقوق المرأة وصانها ـ وهي تتكلم عن تحرير المرأة ـ ونوقشت قضية المرأة ولم يتفقوا على رأي ـ فاحتكموا الى عميدة الكلية ودار حوار هادىء شارك فيه الطالب العربي المسلم .

واستدعت العميدة واحدة من كبريات الاساتذة عندها ليتفقا على

جواب واحد وكان جوابهما الذي وجه للطالبات :

« يجب ان تتركن تلك الشعارات وتعدن لحياتكن الطبيعية - فان اجمل اوقات المرأة هي مناجاة طفل - وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية ، وأشهى ثمرة تقطفها هي تربية أجيال » .

ثم اضافتا الى ذلك قولهما :

« لقد تحصلنا على اكبر مركز تتوق اليه المرأة - بل والرجل في هذه الحياة واكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والمال والجاه - لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقي - ان السعادة الحقيقية للمرأة - بعد ان درسنا الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التي اعطاها للمرأة واشارتا الى زميل الحوار .

المرأة اليابانية :

اليابان الدولة التي نهضت - عقب الحرب العالمية الثانية بسرعة أذهلت العالم كله - ما وضع المرأة فيها ؟

تجيب على هذا السؤال نوبوا ابسكاوا - سفيرة اليابان في باريس في مجلة « المجلة »
٢١/١١/١٩٨١ قائلة :

« المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج - اما بعد الزواج - فهي إما ان تترك عملها مباشرة واما ان تتابعه حتى يصبح لديها اولاد - بينما تلتزم المرأة منزلها - وبخاصة وانه يترتب عليها القيام بجميع متطلبات العائلة - تربية الاولاد والطبخ وتنظيف البيت وسوى ذلك من الامور - وحين يكبر الاولاد تستطيع المرأة اليابانية العودة الى ممارسة نشاطاتها السابقة » .

ثم اضافت قائلة :

« والجدير بالذكر - هنا - ان من اسباب قوة اليابان حاليا « هو عناية المرأة بالأولاد »

المرأة والاقتصاد :

ويأتي سؤال ما تأثير المرأة العاملة على النواحي الاقتصادية للدولة ؟ - ويجيب على هذا السؤال الاستاذ « جيوم فيربرو » في المجلد الاول من مجلة المجلات فيقول :

« ان اشتغال المرأة يؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيرا سيئا باعتبار ان اشتغالها فيه مزاحمة للرجل في ميدان نشاطه الطبيعي مما يؤدي الى نشر البطالة في صفوف الرجال كما وقع في بلادنا - فمنذ اخذت المرأة طريقها الى وظائف الدولة - فقد اصبح عدد كبير من حملة الشهادات الثانوية والعليا عاطلين عن العمل يملئون المقاهي ويقرعون ابواب الحكومة طلبا للوظائف بينما تحتل اماكنهم

فتيات لا يحملن غالبا مثل مؤهلاتهم » .

وما يقوله الاستاذ جيوم ينطبق على كل الدول التي أخذت بمبدأ العمل للمرأة فاصبحت تعاني من البطالة في صفوف الرجال والمشاكل المتنوعة التي تترتب على هذه الناحية .

والموضوع يحتاج الى دراسة متأنية واعية وتوصيات مبنية على أساس هذه الدراسات تقدم الى الرجل والمرأة على السواء وتقدم الى الحكومات واهل الفكر علهم يبدءون صفحة جديدة فيعيدون النظر في توظيف المرأة الذي اصبح في كثير من الدول من المسلمات - واصبحت المرأة نفسها تطالب به - على انه حق من حقوقها - مع انها اول من يدفع الثمن - ثمن الخروج عن وظيفتها الطبيعية في هذه الحياة .

ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور الكسيس كاريل يقول في كتابه « الانسان ذلك المجهول » انه حتى هذه الايام - لم ينضج فكر الانسان ولم يشعر على الوجه التام ما لوظيفة الولادة من الاهمية في حياة المرأة - ان قيام المرأة بهذه الوظيفة مما لا مندوحة عنه لكمال القياس - وما انحراف النساء عن الولادة ورعاية الطفل الا حماقة شنيعة لا يقبل عليها عاقل » .

وعلى نهجه سار الدكتور فيكتور بوجومرلنز في كتابه « من الجلد الى الذهن » وترجم بعنوان « عش شابا طول حياتك » فقال :

« ان انجاب الاطفال شيء مهم جدا في حياة المرأة من كل ناحية - ولم يقرر احد من المختصين ان تعب البنية من كثرة الاولاد قاصر عليها - ان من المؤكد ان عملية الحمل والولادة حيوية جدا في نشاط بنية المرأة - ولست اميل الى القول بأن المرأة تتعرض لتقصير في حياتها بافراطها في انجاب الذرية - فكلنا يعرف نساء أنجبن كثيرا من الأولاد وعمرن » .

تغبط المجتمع العربي :

ومع ان المجتمع العربي لا زال يسير في طريق المجتمعات الغربية بدون تمييز بين النافع والضار الا ان من يعرف المجتمع العربي بتقاليده الاسلامية الرائعة يغبطه على ما هو فيه من نعم - وان كان هو لا يدرك هذه النعم ولنسمع الكاتبة الامريكية « هيلين ستانستيزي » تقول في هذا الموضوع :

« ان المجتمع العربي كامل وسليم - ومن الخليق بهذا المجتمع ان يتمسك بالتقاليد التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول - وان هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الاوربي والامريكي - فعندهم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحث على احترام الاب والام - بل وتحتم اكثر من ذلك -

منع الاباحية الفردية التي تهدد اليوم المجتمع والاسرة في اوربا وامريكا ـ لذلك فان القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة ـ واقصد التي هي دون سن العشرين ـ هذه القيود صالحة ونافعة ـ لهذا انصحكم ان تتمسكوا بتقاليدكم واخلاقكم ـ وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ـ ارجعوا الى عصر الحجاب ـ فهذا خير من اباحية وانطلاق امريكا واوربا » .

واضافت قائلة :

« امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه الكثير ـ لقد اصبح المجتمع الامريكي مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة ـ وان ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملئون السجون والارصفة والبارات والبيوت السرية ـ ان الحرية التي اعطيناها لفتياتنا وابنائنا الصغار جعلت منهن « جيمس دسن » المصابات بالمخدرات والرقيق » .

واستمرت تقول :

« ان الاختلاط والاباحية والحرية في المجتمع الامريكي والاوربي هددت الاسرة وزلزلت القيم الأخلاقية ـ فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص « وتشرب الخمر والسجاير ـ بل وتتعاطى ذلك كله باسم المدنية والحرية والاباحية ـ والعجيب في اوربا وامريكا : ان الفتاة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والدها ومدرسها والمشرفين عليها ـ تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ـ وتتحداهم باسم الاباحية والانطلاق ـ تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات ـ ولا يكلفها هذا اكثر من توقيع ، وبعض النقود وعريس ليلة او عدة ليال وبعدها يتم الطلاق وربما الزواج والطلاق مرة اخرى .

وبعد

فهذه صيحات تحذير تأتينا من الغرب الذي ذاق ما ذاق من خروج المرأة الى العمل تاركة وظيفتها الطبيعية ـ ترى هل نحن على استعداد للنظر في هذا الامر والاستماع الى هذه الصيحات .

ان فعلنا ذلك فاننا نسير في الطريق السايم الذي بينه لنا الاسلام ـ ولكن المدنية الغربية الهتنا عن ان نسير في طريقه .

بهذا نكون قد انصفنا انفسنا وحفظنا لمستقبلنا الأجيال التي تحقق رسالة هذه الامة التي اختارها الله تعالى لتكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

كفى .. كفى !

للدكتور / عز الدين علي السيد

المسلمون

المسلمون بكل ارض .. يا لها هبة السماء !
غيث تنزل .. كي يغيث الأرض من ألم الشقاء
نور تفجر .. في ربوع الكون .. يجنبه البلاء

★★★

المسلمون هم النجوم الغر في الليل البهيم
من قبلهم كان الظلام على ربى الدنيا يقيم
كان الورى لعب الضلال بكف شيطان رجيم

★★★

بالوحي جاء المسلمون ليبعثوا اهل القبور
ليحطموا قيد الحجى بكتاب توحيد ونور
ليشردوا بالظلم والظلماء والكفر الفجور

★★★

جند النبي المسلمون .. على الثغور يرابطون
بالصبر والايمان والقلب الكبير يجاهدون
القتل احدى الحسنيين .. فكيف يخشون المنون ؟

★ ★ ★

فتحوا الأنام بفاتحين : هدى السماء وبالسيوف !
فتكوا بأكبر دولتين .. بلا حساب للحتوف
بالروم والفرس اللتين هوت بمجدهما الصروف

★ ★ ★

في الشرق كان المسلمون وفي ربى الغرب البعيد
يبنون للاسلام صرحا للحضارة لا يبيد
بالعلم .. بالاخلاق .. عظم امرها الدين الجديد

★ ★ ★

المسلمون دعاة رب العالمين الى الورى
للخير يدعون العتاة ومن تكبر وافترى !
باللين والقول الجميل .. يوثقون به العرى

★ ★ ★

فاذا تمادى في العقوق ولج في الظلم المبين
فالسيف اصدق رادع هزته ايدي المسلمين
لا يستكين المسلمون لذلة تصم الجبين

● ● ●

من هم ؟

من هم اولاء المسلمون ؟ هل نحن نحن المسلمون ؟
اني يحيرني الجواب ونحن في ذل وهون !
والمسلمون على ثراهم باللظى يتخطفون !

★★★

لم يجمهم عزم الابي وهم ملايين البشر !
متفككين .. مبعثرين .. على الثرى مثل المدر
فقدوا الارادة .. والرجاء .. وحملوا اللوم القدر !

★★★

هل نحن نحن المسلمون وقدسنا بيد اليهود ؟
او نحن نحن المسلمون وارضنا مرعى الاسود
من كل ذئب كان إن سرنا تزلزله الرعود !

★★★

هل نحن نحن المسلمون وقد دهينا بالفتن ؟
فلت عزائمنا ومزقت الصدور من الاحن
لا حزم يجمع شملنا وديارنا مأوى المحن !

★★★

اطفالنا .. ونساؤنا .. بيد العدو من العبيد !
او في العراء على الظما والجوع في ذل الشريد
النار احرقت الرجال وهدت البيت السعيد !

★★★

هلا بذلنا في حروب الغاصبين لارضنا ؟
مهجا رماها بعضنا بيد الدمار لبعضنا
ليزيد مجد الطامعين بحربهم وبحربنا !

★★★

مرحى ومرحى .. الف مرحى .. نحن قوم مسلمون !
اوليس آلاف المساجد بينها من يسجدون ؟
او ليس عشرات الالوف الى المناسك يهرعون ؟

★★★

لم لا نسمي المسلمين وان غدونا كالعليل
يرمي بما وصف الطبيب له ويرجو المستحيل ؟
هل بعد ميلادي ببيت مسلم يرجى الدليل ؟

●●●

أنا مُسلم

أنا مسلم .. رمز على الانسان قد قهر الهوى !
انا مسلم .. وسم على انف العدو به اكتوى
انا مسلم .. فخر الابي تجمعت فيه القوى !

★★★

انا مسلم .. رمز المحبة والوئام به اسود !
انا مسلم .. رمز الفداء لكي تصان بي الحدود
انا مسلم خلقي كتاب الله .. لا خلق الحقود !

★★★

انا مسلم .. خلقي اصيل من كتاب الله نابع
تبعي الانام وما انا في مذهبي للخلق تابع
أرْسَى من الجبل الاشم فلا تزعزعني الزوابع !

★★★

انا مسلم متفجر الذرات في اعماق ذاتي !
لا استكين .. تشع روحي النور يبهر في حياتي

خلقت لي الدنيا لاسبر غورها حتى مماتي

★★★

انا مسلم استقطب الدنيا وانظر في العواقب !
اعطي وآخذ كيف شئت ولا تعبدني المذاهب
متحرر الفكر الاصيل فلست عن ديني بذاهب !

○○○

انا مسلم ليست حروفا في اللسان او الورق
انا مسلم معنى الشريعة في الحياة قد انطلق
انا مسلم نهج يُطبّق في السلوك .. هل انطبق ؟؟

★★★

انا مسلم .. لفظ يردده الشيوخ مع الشباب
لفظ فسيح .. كالوجود .. وجوفه منا خراب !
فمتى تجيش به الحياة ؟ متى ننال به الرغاب ؟

★★★

الخاسرون تجاهلوه فيمموا صخرا بقاع !
وعلى سفينهم الضحايا والسواد من الرعاع
فمتى يفيق المسلمون ليحكموا رفع الشراع ؟

★★★

دستورنا القرآن اعلى قمة فوق القمم
لزمته مدرسة النبي فدوخت اعتى الأمم
لما جفاه المسلمون غدوا مواطىء للقَدَم !

★★★

المسلمون الاولون بدينهم صنعوا الغرائب
صدقت قلوبهم السماء فحققوا اغلى الرغائب !
يا مسلمي العصر الكئيب .. كفى .. كفى تلك المصائب !

●●●



ان اروع ما يلفت نظر القارىء في هذا الكتاب هو روح الوفاء النادر للوطن والعروبة والاسلام .. هذا الروح الذي نتنسم اريجه في ثنايا الكتاب وفي العديد من صفحاته .

وكان من اجمل الوان الوفاء هو الوفاء لرجالنا الابطال الذين ضحوا بكل شيء في سبيل اعلاء كلمة الله واعلاء شأن المسلمين ومن اعظم المعاصرين منهم المغفور له الملك فيصل الذي يقول عنه الكاتب :

« واجه مصائر شعبه الذي كادت تعصف به الرياح العاتية التي احاطت به من جميع الآفاق ، وضيقت عليه الخناق فأنقذه من الانهيار ووضعه على الجادة الواضحة المعالم .. وعبر بالعالم الاسلامي والعربي الى ذروة السلام والاسلام » .

والواقع ان كتاب « نظرات ومواقف » قد ضم بين دفتيه ـ وقد بلغ ما يقرب من اربعمائة صفحة من القطع الكبير ـ عدة كتب في مجلد واحد .. ففيه من روائع الادب وفيه فيض من ثقافة وفيه دعوات الى الاسلام والتمسك بشرائعه وفيه آراء في السياسة والاقتصاد والاصلاح .

فهو يتحدث ـ في مؤتمر الادباء ـ عن الديمقراطية الانسانية النقية التي لا تشوبها شائبة لانها ديمقراطية محصنة بالأخلاق والفضيلة ومراقبة الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ومن هذا المنطلق تنبعث دعوته القوية لكل خلق قويم فيقول في حديثه

عن « مصدر الالهام »

« ان كل انسان له جوانب كمال وجوانب نقص ، ولكن بعض الناس ترجح فيه بعض هذه الجوانب على الاخرى . ومن الانصاف ان نعرف لكل انسان ما فيه من خير لنأخذ به منه ونعترف له عنه ونعينه عليه ، وبذلك نحقق للانسانية كسبا عظيما وما كان خلاف ذلك من الانصاف ايضا ان نحاول استصلاحه بالحسنى ونحميه من الغيبة التي يصورها القرآن في ابشع صورة .. تحاكي اكل الانسان لحم اخيه ميتا .

فاذا حكمنا هذه القاعدة في علاقتنا مع الآخرين فاننا سنتخلص من تلك النقائض الفتاكة في حياتنا الاخلاقية والاجتماعية وهي : التحدي والجحود والمكابرة ونزن الرجال والاعمال بموازين عادلة رصينة » .

ويمضي المؤلف في الحديث عن كل جميل وخير في حياة الانسان فينتقل الى الحديث عن الحرية فيقول : « انها اول مطلب يطلبه كل كائن حي عندما يتنسم نسيم الحياة .. وهي تسبق العقل والفكر والنطق .. وتسبق جميع انواع الفهم والادراك .. وهي من صفات الروح الاولى تنعدم بانعدامها وتوجد معها لحظة وجودها ، وهي أول صفة تصاحب وجود الروح في الكائن الحي .. وأول شيء في الوجود يدافع عن نفسه ويحتفظ بحقه في التصرف وفي التعبير عن ذاته ..

ورغم أن الحرية هي الأصل في الحياة الانسانية وأولى الحقوق الفطرية التي درج على ممارستها منذ مولده ..

الا انها تعرضت للضياع في شتى عصور التاريخ وبين مختلف الأمم .. لقد مضى على الانسانية حين من الدهر كان فيه الرق نظاما دوليا اجتماعيا فاشيا في أوربا .. فكل من ملك قطعة من الأرض ملك ما عليها من اناس .. وكان التشريع الروماني يجعل عقوبة العبد اذا سرق من سيده أو هرب منه هي القتل ..

وكانت القوانين الدينية عند الهنود تحرم طبقة خاصة من الناس من جميع الحقوق ويعتبرهم رجال الدين رجسا يمتنعون عن مخالطتهم . ورغم ذلك فقد ظل الانسان يكافح في سبيل تخليص حريته من العبودية وتخليصها من الاغتصاب والتعدي عليها ويضع الانظمة التي تحقق له ذلك .. وقد سبقت الأديان السماوية الى الدعوة لذلك ..

لكن من المؤسف أن نجد الانسانية بعد أن رأت طريقها الى سعادة الحرية التي عاشت تحلم بها .. قد انتكست الى حال أسوأ مما كانت تعانيه .. فالظلم والحروب فاشية .. ثم ما يتبعها من امتيازات تفرض على المقهورين .

ولقد وقفت الشيوعية العالمية في طريق ممارسة الحريات بجميع أنواعها .. وتحقيق السلام .. وعطلت اعمال الهيئات والمؤسسات التي أقيمت لحمايتها وضمان سلامتها وانتقل الصراع المحدود الذي كان يعانيه الفرد في محيطه .. والجماعات الصغيرة في رقعتها من الارض الى

صراع دولي شامل عم العالم بالقلق والخوف من المصير المجهول .

والحرب الشيوعية في بلد لا يراد بها ان تخلص الى سلم دائم واستقرار وحرية بل الغاية منها هي توسيع رقعة الشيوعية التي تحرم الانسان من أبسط حقوقه في التفكير والتعبير والعمل المنتج لرفع مستوى معيشته ومضاعفة دخله وادراك حياة افضل يتمتع بها الجميع في ظل القانون .

والشيوعية تعتمد في اسلوب انتشارها على مبادىء منافية للمثالية التي طمح الانسان في جميع أدوار حياته الى تحقيقها .

فلا تؤمن بالله .. ولا تؤمن بالاديان .. وتعتبرها برجوازية يجب القضاء عليها والتخلص منها .. مع أن الأديان ـ هي « الحق » وأقوى رابطة قامت عليها الحياة الاجتماعية البشرية ولا نخص بهذا دينا دون آخر ـ »

ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن كلمة سمعها من مسئول في وزارة خارجية دولة عظمى تضع كل ثقلها في محاربة الشيوعية ..

فهذا المسئول لا يعتبر البلد شيوعيا حتى يتلقى تعليماته وأوامره من موسكو مباشرة .. أما ما سببته سياسة بلده من دفع الكثير من بلاد الشرق الأوسط الى أحضان الشيوعية الى حد التخريب وقتال الشوارع وتلاشي الحكم الديمقراطي .. فهو في نظره من قبيل العبث الوقتي الذي لا يستحق المقاومة .

لكن عندما تستولي الطغمة الشيوعية على الحكم وتتلقى تعليماتها من موسكو ويصبح البلد شيوعيا .. عندئذ تهب حكومة ذلك المسئول لمقاومتها في اطار مدى تأثيرها على مصالحها فقط .

وفي ظل هذا المفهوم الخاطىء تزحف الشيوعية زحفا متصلا في جميع الاتجاهات وهي اذا حلت ببلد فنادرا ما تنحسر الا وسط بحور من الدماء .

لذلك يجب ان نعمل ونسارع بالعمل لصد هذا الزحف بمفاهيمنا الاسلامية التي تقدس الحرية بكل انواعها ..

★ « حرية الفكر .
★ حرية الملكية .
★ حرية استعمال الفرد لملكاته ومواهبه الفطرية .
★ حرية السيطرة على طاقاته ليستغلها لخير نفسه وخير البشرية .
★ حرية تنظيم حياته على النحو الذي يتفق مع رغباته .
★ حرية العيش حيث يريد وكيفما يريد » .

موقنين ان ما توصل اليه العقل البشري من انظمة ديمقراطية انما هو

من ثمار هذه الحرية التي تريد الشيوعية ان تقضي عليها بما تهدره من كرامة الانسان وتدمره من الأخوة الانسانية وتنشره من نظام يصدم الفطرة ويعوق التقدم الحضاري للانسان .

وهنا يبرز دور الأدباء ومسئوليتهم الكبرى في الحفاظ على تراث الانسانية بصفتهم « الرواد في المهامه المقفرة والرائد لا يكذب أهله » .

« اننا بحاجة الى أن نبرز الوجود العربي في أفكاره الملائمة لفطرته وفي عقيدته الملائمة لطبيعته وفي طريقة حياته المنسجمة مع تقاليده وعاداته .. وان نتابع الأخطاء والانحرافات التي لحقت به فنبين مصادرها ومدى الاضرار التي الحقتها بالوجود العربي حتى نصحح الأخطاء ونعمل على تكوين رأي عام سليم واع مدرك .. رأي عام عربي اصيل - لا شرقي ولا غربي - يستطيع ان يأخذ بمقدرات الأمة العربية الى الطريق المستقيم .

كما أننا بحاجة ايضا الى تنقية موارد ومصادر ثقافتنا وفكرنا التي اختلطت اختلاطا مروعا يهدد بتصدع وتحول عظيم في الصميم حتى نحصل على فكر وثقافة صالحة لتغذية نمونا الطبيعي كيلا نتعرض الى خطر التحول عن فطرتنا .

اما في حديث الشيخ حسن كتبي عن « الاسلام والسلام العالمي » فهو يقول :

« السلام هو جزء من صميم العقيدة الاسلامية لأن الدعوة الى عبادة اله واحد لا شريك له حسبما جاء في جميع الديانات السماوية السابقة للاسلام هي عنصر رئيسي من عناصر السلام :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران / ٦٤

فاجتماع البشر في ظل توحيد الله - وهو جوهر الدعوة الاسلامية - يقضي على جميع المشاكل والخلافات والحروب التي طالما أثيرت بسبب الخلافات العقائدية أيا كان نوعها » .

لاسيما وأن الاسلام لم يعتمد في نشر عقيدته على حرب أو اكراه .. وكيف يكون ذلك والمولى عز وجل يقول في محكم كتابه :

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل / ١٢٥

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة / ٢٥٦

(إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم)

التكوير / ٢٧و ٢٨.

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الانبياء / ١٠٧

فالسلام هو الأصل في دعوة الاسلام والحرب استثناء لا يلجأ اليها الا عند الضرورة القصوى ولا تكون ابدا بنية التوسع والاستعمار بل للدفاع عن النفس .

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الحج / ٣٩ و٤٠

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة / ١٩٠ والمسلم ملزم في حروبه بالتسامح والتقوى والعدل ومنع الاعتداء والجور والظلم وقتل الابرياء حتى تتحقق حرية الفكر والعقيدة فيقبل الناس على رسالة السماء .

ان من أهم دواعي الحج وهو ذلك اللقاء « بين اطراف هذا الكيان الاسلامي من كل فج عميق لقاء دينيا مبرأ من شوائب العصبيات والجنسيات وكل ما يفتت الأسرة الاسلامية الكبيرة من أسباب متنوعة ليعالجوا قضاياهم ويحلوا مشاكلهم على أسس من الدين وليتبادلوا المنافع بينهم » .. في ظل الاسلام .

لكن السلام في ظل الاسلام لا يعني الاستسلام أو النوم وقد استولى « أعداء الأديان وأعداء الانسان على قدس من مقدساتنا واستولى عبدة الاوثان على شطر عزيز على قلوب المسلمين جميعا من أرض باكستان » .

ولذلك يدعو المؤلف دعوة ملحة للتضامن الاسلامي الذي لم يكن في يوم من الأيام دعوة حزبية ولا تجمعات عدوانية وانما هو نسب روحي أقامه الاسلام بين المسلمين حيث جعل منهم اخوة وجعل الاخوة الاسلامية هي القاعدة التي يرتكز عليها كيان المجتمع الاسلامي وضرب لهذا الجسد مثلا بالجسد الواحد .. اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

ولقد أصبح المسلمون في جميع اقطار الارض في أشد الحاجة الى احياء ذلك النسب بينهم بسبب فداحة الاخطار التي تهدد وجود الشعوب الاسلامية كجماعة توحد العقيدة بين أفرادها .. لقد عرف الشعب التركي حرب الابادة التي شنها القبارصة على الأتراك المسلمين بقصد أن يزيلوا وجودهم ... كما عرف هذه الأخطار الهنود المسلمون في الهند وكشمير وفي التركستان الذين يعانون مما يعانيه المسلمون الاتراك .

ويعيش المسلمون في زنجبار وفلسطين مهددين بالفناء .. وفناء هذه الجماعات الاسلامية يعتبر انتقاصا

للكيان الاسلامي العام وفناء لبعض اجزائه ومتى تعرض الكيان العام للانتقاص والفناء ينتهي الى الاضمحلال التدريجي حتى يتصدع البنيان وينهار .. »

وينتقل بنا المؤلف بعد ذلك في رحلة مباركة الى المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية الشريفة ويحدثنا من كلمته في ذلك المؤتمر عن علماء الطبيعة المعاصرين الذين آمنوا بالعلم وصنعوا منه إلها يعبد وكفروا بالخالق واتبعوا السراب وتجنبوا الصواب وأصبحوا : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم / ٧ .

وينتهي الى القول بأنه : « قد ثبت أن العلم من غير ايمان يقود الى الدمار وأن خيره للانسانية محدود في أضيق الحدود . وقد جاءت الاشارة الى ذلك واضحة في القرآن الكريم في قوله تعالى :

(**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**) يونس / ٢٤

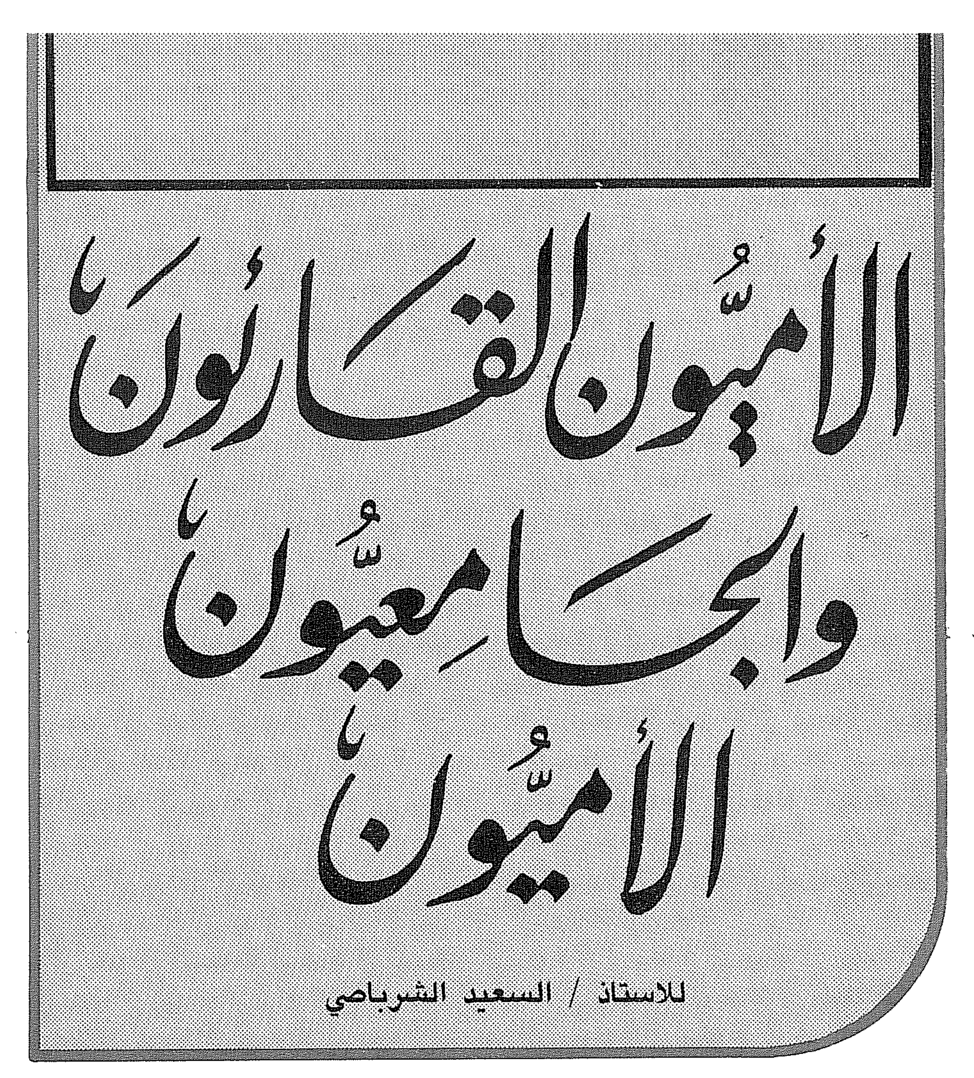
لقد قدم لنا فضيلة الشيخ كتبي في كتابه مائدة شهية حافلة بمختلف ألوان العلم والأدب ولقد مزج فيه بين أدب الرحلات ـ عندما تحدث عن باكستان واليابان وتركيا وغيرها ـ وألوان الأدب الاخرى كما حرص على تبليغ ما يؤمن أنه الحق عارضا أمام القارىء في صورة محببة أهداف الاسلام العليا .

وهو يسدي النصح خالصا لوجه الله تعالى بعد أن شخص أدواء العرب كجزء من الأمة الأسلامية فيقول لهم عن جامعتهم :

« ان الجامعة العربية لا تحتاج الى مواثيق ولكن الى ايمان عميق ، ايمان بالمسئولية واخلاص لها وصراحة تامة في جميع الشئون التي تعرض فيها وعندئذ ستأتي هذه الجامعة بالمعجزات وفيما عدا ذلك فانها البيت الكبير للاسرة يجتمع فيه أفرادها ثم يخرجون بنفس الاحساس والشعور الذي دخلوا به » .

وفي سبيل الاصلاح علينا نحن العرب : « أن نطرح جميع النداءات والمذاهب كالقومية والاشتراكية وخلاف ذلك لانها لا ترتكز الى سند من تاريخ الأمة العربية . ونستبدل بها مذاهب ونداءات الجامعة الاسلامية لأنها السند الحقيقي الذي جعل من الأمة العربية تاريخا وحضارة وعلوما وفنا ومجدا » .

(**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣



ليست الامية الحقيقية العميقة الجذور والبعيدة المدى هي عدم القدرة على حل رموز الكتابة أو عدم معرفة أنواع الحروف وتراكيب الكلمات ، ولكن الأمية الخطيرة هي عدم القدرة على مطالعة ما يحتويه العالم من أسرار ، وما يجري في فلكه من عبر ومرئيات .

وليس كل من عرف رموز الكتابة وميز بين أنواع الحروف بقارىء ، بل إن هناك ممن لا يعرفون الفرق بين حرف وحرف يجيدون القراءة لصفحات الوجود ، بينما نرى الكثيرين ممن يحسنون القراءة يعمون عن النظر الى ما في الكون ولا يفهمون حرفا واحدا من مقولاته .

ولقد اهتم القرآن الكريم بالتحذير من هذه الأمية ، لأنها تحول المبصر إلى اعمى .. والأمية الحقيقية المرذولة التي يحذر منها القرآن هي قرينة الغفلة ، وهي التي تكون العيون الباصرة قوية وسليمة بل وواسعة ونشيطة ، ولكنها لا ترى الا الظلام او الأضواء ، أما ما وراء ذلك من الحقائق ، فذلك شيء يغيب عنها ولا

تصل اليه ، يقول القرآن الكريم : **(فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)** الحج / ٤٦ .

وقضية الايمان هي قضية التأمل والتدبر والتبصر ، وعندما لا يوجد شيء من ذلك يصبح الايمان امرا مستحيلا ، لأن الآذان تسد والعيون تغلق : **(والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)** فصلت / ٤٤ وغضب الله على المغضوب عليهم انما يكون بحرمانهم من هذه النعم الممنوحة التي لا تستعمل فيما أعدت له : **(اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)** محمد / ٢٣ .

والواقع ان الأمية الحقيقية تحرم الانسان من آدميته ، وانه ليسهل عليك قيادة شخص فقد بصر عينيه ، ولكنه متفتح القلب ، مستيقظ الحس ، ولا تجد مثل هذه السهولة عندما تبتلى بشخص مبصر لكنه اعمى القلب لا يدرك ولا يبصر الحقائق .

وهؤلاء الاميون بأميتهم العميقة الجذور ، يسدون على الدعاة الطريق وتتحطم أمام غبائهم وسائل الارشاد والهداية ، لأنهم صم بكم عمي ، وقد نبه القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم الى بلاء هذه الأمية معزيا له عما يلاقيه من أصحابها قائلا له : **(أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون)** يونس / ٤٣ وحقا فرغم انهم مبصرون ، لكنهم لا يبصرون .

وعندما يختم الله على قلب انسان ويعمي بصره تكون الطامة الكبرى والبلاء الأعظم ، وهذا الصنف من الخلق هم الذين يصفهم الواصفون فيقولون عن الواحد منهم « انه اعمى البصر والبصيرة » وحفظنا الله من هذا البلاء .

○ هل انت تقرأ :

هذا هو السؤال الذي لو وجه الى كل الدارسين والمتخرجين من الجامعات فانهم سيجيبون على الفور بالايجاب ، وسيكون الرد بكل قوة « نعم انهم يقرأون » .. ولكننا لو طبقنا نظرية الأمية الحقيقية ، فهل الجواب يمثل الحقيقة والواقع ؟ . اعتقد أنه لا يكون قريبا من الحقيقة لأن معظم المتعلمين لا يعنيهم من الأمر الا : « ما قاله الاستاذ او كتبه ليؤدي فيه الامتحان » . أما ما وراء ذلك فأمره لا يعنيهم وحسبهم انهم يبصرون الطريق الذي ينتهي بهم للحصول على الشهادة او على الدرجة العلمية « أما أنهم يخرجون الى الحياة ليزودوها بما علموا ، وليتفاعلوا معها ويأخذوا منها أو يعطوها فذلك شيء لا يفعله إلا القليلون .

ان مهمة التعليم الذي يعتمد على معرفة القراءة في الحقيقة انما هي اعطاء المفاتيح لقراءة ما في الكون من آيات واستطلاع ما في الآفاق من عظات .. واذا كانت معلوماتنا ستظل قاصرة على ما كتب أو قرىء فان معنى ذلك وقوف المعرفة عن التقدم ، وثباتها عند الحد الذي وصل اليه من

سبقونا ، وبذلك لا يخطو العالم اي خطوة جديدة . وانما تقوم الحضارات والابتكارات على جهود العلماء وعلى اخلاصهم في قراءة ما في الكون من أمور مجهولة لم تقرأ بعد ، ثم تقديم هذه الاكتشافات الى العالم .

وفي المسائل الروحية والأخلاقية لا حقائق تكتشف ، ولكن تتطور أساليب الفهم لهذه الحقائق كما تتطور أساليب عرضها وتطبيقها ، وخاصة لمواجهة ما تم من اساليب مادية حديثة .

وعلى سبيل المثال كان الانسان الذي يعيش في بيئة اسلامية بسيطة لا يحتاج لتوضيح حقائق العقيدة الى عناء . اما إنسان الآلة في مجتمع المادة ، فانه محتاج الى طريقة مبتكرة في الوصول الى طوايا نفسه ثم في طريقة عرض الحقائق الدينية عليه .

والطرق المبتكرة التي يحتاج اليها المجتمع اليوم ، قطعا لم يكن العالم في حاجة اليها امس . ومن هنا يصبح التأمل فيما كان والتدبر فيه أمرا ضروريا ، ويصبح الخروج الى الوجود والتعرف على ما فيه واجب محتوم على كل طالب للمعرفة وما لم يتم ذلك فأنك لست محسوبا في عداد القراء . حتى لو صرت من كبار الموظفين ، أو من حملة الشهادات والدرجات .

○ أقرأ الأميين :

ومن قديم كانت القراءة معروفة في العالم كله ، وكانت موجودة في أم القرى . ويشهد لهذا ما حدث من الرسول صلى الله عليه وسلم مع أسرى بدر . حيث جعل فداء بعضهم أداء مهمة خاصة هي تعليم بعض أطفال المسلمين القراءة والكتابة ومعنى هذا أن الكتاب والقراء كانوا موجودين بأم القرى قبل مجيء الاسلام .

ورغم هذا فان محمدا عليه الصلاة والسلام ، لم يكن قارئا لصحف الأوراق ولا كاتبا للحروف والكلمات ، واختاره الله سبحانه وتعالى أميا لتكون المعجزة الباهرة والمقنعة .

ومن بداية المسيرة اخذ نفسه بالقراءة الحقيقية ، قراءة العالم ومطالعة الكون ، فكان يترك الحياة العامة لينفرد بنفسه ، وليعيش مع العزلة في تأمل دائم .. في صمت الصحراء المعجز الذي ينطق بالايمان ويجلجل باليقين ، وفي السماء الصافية العريضة ، وفي صور الشعاب والجبال التي لا تستقيم ولا تنتظم .

كان يخرج الى غار حراء يجلس الساعات الطوال والأيام والليالي فهل كان يقضيها في تحنث وعبادة معروفة ؟ ام كان يقضيها في تأمل وتطلع ، يترقب النور ويبحث عن الشروق ؟ ولو كان ينشد العبادة المعروفة في زمانه لكان المسجد الحرام ارحب مكان لذلك ، ولكنه كان يطلب البحث عن الحق وتتطلع روحه الى ما هو اعظم .

واخذ الفتى الأمي يطيل النظر في الآفاق ويطيل التأمل في جميع الاتجاهات ، الطيور الشاردة التي

تظهر فجأة وتختفى بسرعه ، من الذي صنع لها الأجهزة المتحركة ، التي تحملها من سفح الأودية الى ما فوق هامات الهضاب ، والليل القادم بظلامه المطبق الممتد ، والذي ينتهي الى النهار بأشعته الباهرة التي لا تحتملها العين ، ثم اختلاف درجة الحرارة حيث البرودة مع الظلام ، وقسوة الحرارة مع النهار ثم هذه الأفلاك الدقيقة الصغيرة التي تنتشر في الخيمة الكبرى التي تغطي الوجود ، وهذه الأفلاك الكبيرة المشرقة والمضيئة والمتحركة في انتظام .

ثم هذه الحيوانات التي ضمن الله لها رزقها في جوف الصحراء والتي تختفي من الانسان خلف الكثبان ، وتعيش معتمدة على خالقها ، تسعى لرزقها ليلا او نهارا وتنظم حياتها من اجل البقاء .

إن القارىء الباحث لو عاش الى جوار أي حيوان حتى ولو كان بسيطا . وجعل يتأمل أحواله وأموره وأجهزته وطرق معيشته فانه يجد في هذا الحيوان البسيط حياة كاملة تمد المرء بالأفكار والتساؤلات التي تنتهي به الى الايمان بعظمة الخلاق الذي خلق الدقيق والجليل والحقير والعظيم .

فماذا يكون الحال لو كانت العين الفاحصة عين قارىء عظيم ينفذ الى الأغوار ويمضي الى الأعماق ويحسن الانتهاء الى الحقائق .

ثم اذا تلفت حوله ولم يجد ما ينظر اليه ، فلماذا لا يرد الطرف الى نفسه ، ويتأمل فيما حوت وفيما وعت : **(وفي الارض آيات للموقنين . وفي انفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات / ٢٠و ٢١ .

لقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم أمي قرأ ، وأعظم انسان تأمل ونظر وبصر ، ولم تكن الرسالة الأسلامية التي حملها ، رسالة التعاويذ والمتاهات ولا رسالة الغموض أو التسليم الأعمى ، وانما نادى : لتتفتح العيون ولتتحرك القلوب ولتحس المشاعر ولتطالع ما في الحياة ، فكان خير امي قرّأ وخير أمي قاد الأميين الى القراءة الصحيحة ، بل وقاد المتعلمين الى المعرفة الحقيقية !

○ جاهلية القرن العشرين قديمة :

وكتاب جاهلية القرن العشرين « للاستاذ محمد قطب لم اجد في نفسي الاصرار على قراءته لاني احسست من عنوانه أنه يعالج جاهلية فترة معينة وطبقة محصورة بينما اعتقادي أن الجاهلية قرينة لمسيرة الانسان على مدار الأزمان .

كانت الجاهلية قبل الاسلام فجاء الاسلام ليحاربها ، ويطلب الى الجهلة ان تفتح عيونها على الحقيقة وتتجنب الحمق والعصبية . واستمر الاسلام مصدر اشعاع على مراحل التاريخ ليضرب بعصا الهداية رؤوس الجهلة في كل زمان ومكان .

ومفهوم الجاهلية الواضح هو العمى لا عدم العلم ، ولا غرابة ان

يقف الاسلام من الثقافة الغربية المادية موقف الاستنكار رغم ما وصلت اليه من تقدم علمي ، ولكنه تقدم يسوق البشرية الى الشراب والطعام ولا يمنحها الحب ولا الطمأنينة ولا يعطيها الأمان ولا الثقة .

ان الناس في كل المجتمعات المادية في الشرق وفي الغرب تأكل كثيرا ، ولكنها لا تشبع وتلبس كثيرا ولكنها تحس بالعرى . وتتمتع بأسباب الحياة ومع ذلك فهي تعيش في حرمان ، لأنهم يعيشون في حصار مادي مغلق ـ ولو أنهم فتحوا عيونهم على بداية الحياة ونهايتها . ومذاقها ومسيرتها لهان عليهم الأمر ولأدركوا أن الدنيا لا تستحق ان نحرق قلوبنا حسرات من أجلها ، وأن نذرف دموعنا تفجعا عليها .

فقضية الجاهلية قديمة ودائمة وهي معاصرة ومستمرة . لأنها قضية الأهواء التي تعايش الانسان ، فان هو تغلب عليها وسيطر على تنظيمها ارتقى وسما عن منزلة الحيوان ، وان سيطرت عليه فقد انسانيته ، وانحدر الى مستوى البهائم : (**أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا**) الفرقان / ٤٣و٤٤ .

ثم من يسكن جهنم لو ان جيل الغافلين عن الحقائق انتهى ، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) الاعراف / ١٧٩

والغريب في قضية الايمان أن الانسان يحمل عناصره مع وجوده ويستخدم وسائله في تحركاته فقضية الحياة والموت هي قضية الميت الذي يتحول الى حي ، والحي الذي يصير ميتا ، وانها لقضية مشهودة في النبات وفي الحيوان ولكنها في التكوين الانسان أظهر وأعظم . حيث يرى الأنسان في مهده ضعيفا بسيطا ، ثم يتدرج في مراحل النمو الى ان يصبح فتيا قويا . ثم تبدأ المسيرة في الاتجاه العكسي ، وانها لقضية مفروغ منها لم تتخلف مع ولي ولا نبي ولا مع ضعيف ولا قوي . ورغم هذا الامتداد الذي لم يتخلف ابدا فان الجهل ينسى بعض الخلق هذه الحقيقة التي تعيش في كيانه .. فيستطيل ويستطيل حتى يظن انه من الخالدين ، بينما ينسى مصيره القريب الذي قد يتحول الى فاجعة .. مع ان الوسائل المستخدمة في الوصول الى الايمان وسائل جيدة ، عيون تدور الى اليمين والى اليسار وترى ما في المواجهة وتملك الحرية للاستدارة ، وآذان تسمع الهمس وشديد الجرس ، وقلوب شفافة تلتقط الاحساس والمشاعر من غير مفتاح يدار أو وقود يقدم ، فلماذا اذن لا نستخدم هذه الوسائل ؟ ولماذا لا نطلقها في طريقها الصحيح الذي أراده الله لها ؟

قصة اجتماعية

قطرات من دموع

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » قرآن كريم

للأستاذ / حسين القباني

كانت ليلة من ليالي الصيف الماضي والقمر يسكب فيضا من نوره على تلال المقطم القريبة من حي العباسية ، والظلال ترسم مع الضوء صورا غامضة على الممرات المنحدرة ، وليس في المكان غير دقدقة حوافر جواد يسير بخطوات واهية متثاقلة ، ووقع خفيف لأقدام الحوذي العجوز ابراهيم وهو يمضي بجانب جواده بلبل .

ورغم النسيم الرخاء الذي كان يمسح على وجهيهما بيد رقيقة ناعمة ، فقد كانت قطرات العرق تتألق في ضوء القمر على جبين الرجل العجوز ، وتنضح على جسد الجواد المتعب - المتثاقل في خطوه .

كانا عائدين معا في تلك الليلة كعادتهما كل ليلة منذ خمسة عشر عاما ..

ومسح ابراهيم وجه بلبل حين رآه يتوقف لاهثا متعبا وهمس له :

- اقتربنا من البيت يا بلبل كما تعلم ، خطوات اخرى ونصل ، ولن نشقى بعد هذه الليلة أبدا ، فقد آن لنا أن نستريح حتى آخر العمر .

ولما ربت بيده على وجه الجواد وجده مبللا ، فلم يدر أهي قطرات من الدموع ام حبات من العرق ؟ .

وانحدر ابراهيم في طريقه الى البيت وعادت به الذاكرة الى الوراء .. الى اعوام بعيدة لا يعرف لها عددا ، الى ايام الشباب التي كان يشتغل فيها حوذيا في قصر احد الاثرياء ، ومرت على وجهه سحابة من الأسى وهو يذكر تلك الايام من شبابه ، فقد كانت اياما سوداء قاسية ، لم يشعر فيها لحظة انه آدمي من حقه ان يعيش كما ينبغي ان يعيش الآدميون ، كان يعلم ان نظام الرق قد الغي ، ولكنه كان يعيش اذل من العبد المسترق .

وكان من الممكن ان يقبل هذا كله في صبر من اجل لقمة العيش ، ولكن الذي كان يثيره ويكاد يذهب بعقله تلك النظرات الجوفاء التي يوجهها اليه السادة أصحاب القصر ، فقد كانوا ينظرون اليه وكأنه غير موجود ، أو كأنه جزء متحرك - تافه الشأن - من اجزاء مركبتهم الفاخرة ، وضبطه السيد الكبير ذات مرة وهو يلتقط من تراب الحظيرة بعض حبات الفستق التي سقطت ذات مرة من يد السيد وهو يطعمها للجواد ، ووجد نفسه مضروبا ومطرودا من القصر وهذه الكلمات ترن في أذنيه :

- لم يبق الا أنت يأكل الفستق .

وانتقل الى قصر ثان وثالث ورابع والمعاملة واحدة لا تكاد تختلف في جوهرها ، وكأن هؤلاء السادة الكبار قد تخرجوا في مدرسة واحدة لقنتهم دروسا خاصة في كيف يعامل السيد الكبير أولئك الذين أراد لهم القدر أن يكونوا في خدمته ورهن اشارته ؟

وتزوج ابراهيم ، وأثمر الزواج أولادا لأن نظام الحياة كما يقول العامة يأبى الا أن يعطى للفقير كرشا كلما احتاج قرشا ، وكثيرا ما كان يعوزه هذا القرش في فترات التعطل ، فتمضي الأيام به وبالأسرة الصغيرة في ضيق ومسغبة ..

وتنحسر سحابة القلق عن وجه ابراهيم وهو يذكر كيف وفق اخيرا للعمل عند صاحب مركبات الأجرة ، وكيف استطاع أن يدخر مبلغا من المال اشترى به مهرا صغيرا أسماه « بلبل » وكيف تفاعل به فلم يفترق عنه يوما منذ ذلك الحين حتى نشأت بينهما صداقة وطيدة قل ان يوجد مثلها بين انسان وانسان ؟؟

كانا يخرجان معا في بكور الصباح - صيفا وشتاء - سعيا في سبيل رزقهما ورزق الاسرة .. وكان كل صاحب مركبات يزيد في عمولة ابراهيم نسبة معينة بسبب وجود بلبل معه .. وكان ابراهيم يجلس في مقعد القيادة ، ويقضي النهار وجزءا من الليل في السعي ، بعيدا عن أولئك الذين كانوا ينظرون اليه على أنه قطعة تافهة من المركبة الفاخرة ، ثم يعود مع بلبل ليتناول كل منهما عشاءه في المربط ، الشعير وحبات الفول الجاف في المزود لبلبل ، وخبز الشعير وحبات

الفول المدمس على صندوق فارغ لابراهيم .

وكان بلبل لا يأكل الا اذا رأى صاحبه ابراهيم يمضغ الطعام أمامه ، وقد حدث ان شعر ابراهيم ذات ليلة بوعكة وغثيان ، فعافت نفسه الأكل وأبى الجواد أن يذوق شيئا حتى اضطر ابراهيم الى أن يتظاهر بالمضغ .

ولما مرت هذه الذكرى بابراهيم ، امتلأ قلبه بفيض جديد من الحب للجواد الوفي ، فتوقف وعاد يمسح على عنقه في حنان وهو يهمس له :

ـ هل تعرف يا بلبل لماذا سنستريح معا بعد هذه الليلة ؟.. ان ابني الاكبر ممدوح قد نال شهادة مدرسة الصناعات منذ شهور ، وظفر بمركز محترم في احدى الشركات منذ شهر ، ولا شك انه قبض اليوم مرتبه الاول .. جنيهات يا بلبل .. وأكبر ظني أننا سننعم الليلة بطعام شهي ، فلا شك أن أم ممدوح قد وضعت لك كمية كبيرة من الفول والشعير والتبن وربما قطعة من السكر ايضا ، فمن يدري ؟ فأنت يا بلبل جدير بكل خير بعد أن شاركتني هذا الكفاح الطويل في سبيل الرزق ، ولعلها تركت لي صحنين أو ثلاثة ملأى باللحم المشوي والارز والفاكهة ، نعم يا بلبل لقد آن لنا أن نستريح ..

وعاد ابراهيم مرة أخرى بأفكاره الى ذكريات كفاحه المستميت مع جواده بلبل لكي يتيح لولديه ـ ممدوح وخليل ـ نصيبا من التعليم يجنبهما المذلة التي كان يشعر بها تحت نظرات السادة المترفعين .. وكان يحرم نفسه من كل شيء عدا لقمة الخبز والأدام ، ليتيح لهما فرص التعليم ، ويمهد لهما طريقا في الحياة أقل وعورة ومشقة من طريقه ..

ونجح الرجل في كفاحه ، وتخرج ممدوح من مدرسة الصناعات ، واشتغل باحدى الشركات ، وأوشك خليل أن يتخرج من مدرسة التجارة ، ولا شك أن الاثنين سيحملان عنه عبء الانفاق على أمهما واخواتهما الثلاث ، اما هو فان ربحا قليلا من بيع الحلوى امام المدرسة الابتدائية بالحي كفيل بتغطية نفقاته ونفقات بلبل معه ..

والتفت الى جواده باسما وعاد يحدثه قائلا :

ـ نعم يا بلبل ان قروشا قليلة ستكفينا معا ، وما أظن ان العمر سيمتد بنا عاما آخر ، ولماذا يمتد وقد ادينا معا الجانب الاكبر من مهمة وجودنا .

وأحنى الجواد رأسه ، وأخذ يمسح بوجهه وجه صاحبه ، تاركا عليها حبات من العرق ، أو قطرات من الدموع ..

وظل القمر يرسل ضوءه على التلال والممرات المتشعبة فيها ، وظل السكون مخيما الا من وقع خطوات ، ودقدقة حوافر ، ونعيب بومة هناك ، ونباح كلب هنا .

وبلغ الاثنان المربط القريب من مسكن ابراهيم ، وهناك وقف الرجل العجوز يطرف بعينيه في ذلك الشعاع الباهت من ضوء القمر الذي تسلل الى المربط من فجوات في سقفه .

لا مصباح مضاء ، ولا فول ولا تبن في المزود ، ولا فول وخبز على الصندوق الفارغ .. لا شيء ..

ماذا حدث ..؟

كيف نسيت ام ممدوح ان تعد له ولجواده الطعام كما اعتادت كل ليلة ؟

هل اطار صوابها الفرح برؤية الجنيهات .. مرتب ابنها .. ام تراها اهملت امره عمدا لانه لم يرسل اليها نقودا في منتصف النهار كالمعتاد كل يوم .؟

ان كان الاحتمال الأخير هو السبب ، فان لابراهيم العذر فماذا كان في وسعه أن يفعل ما دام لم يربح في يومه لأول مرة في حياته غير ثلاثة قروش اشترى بها طعاما لبلبل ، وبقي هو بغير طعام حتى ساعته هذه ..

ورغم هذا كله ، فقد عاد راضيا وهو يعلم ان الله الذي قدر عليه الرزق في يومه هذا بسط له وللاسرة رزقا آخر عريضا عن طريق ابنه .

وهز رأسه مستنكرا وقال للجواد :

- لا يا بلبل ، ان أم ممدوح زوجة متعبة حقا ، وقد عشت معها صابرا من اجل الأولاد ، ولكني اعتقد أنه مهما بلغ جحودها فلن يصل الى حد حرماننا من العشاء في مثل هذا اليوم السعيد - محال محال .. امكث هنا حتى اذهب وأرى ماذا حدث ثم اعود .

واحس الرجل بشعور ثقيل مبهم يرين على صدره وهو ينقل قدميه في خطوات بطيئة نحو مسكنه الذي قضى فيه الخمسة عشر عاما الاخيرة ... مسكن بناه بيديه في هذه البقعة الموحشة من التلال ، بناه من الطين والأعشاب وسقفه بالشجر الجاف ، وما هي غير أسابيع حتى عمرت هذه البقعة الموحشة بعدد من الأكواخ المماثلة لزملائه الحوذية والباعة الجائلين .. أما متاع هذه المساكن فلم يكن يتجاوز حصيرا او قطعة من الخيش وبعض الاواني لطهو الطعام وغسل الثياب .

واجتاز ابراهيم المنحنى حتى اصبح قريبا من هذه الفجوة التي تؤدي مهمة النافذة في احدى غرفتي مسكنه ، فرأى بصيصا من الضوء ينساب منها على غير العادة ، وشعر بانامل باردة تعتصر قلبه خشية ان يكون اصاب الزوجة أو احد الابناء مكروه .

وما كاد رأسه يبلغ حافة الفجوة ، حتى سمع زوجه ، ام ممدوح تقول لابنها بصوتها الاجش الذي يعرفه عنها :

- اسمع يا ممدوح ، اذا عرف ابوك حقيقة مرتبك وان الشركة قررت لك خمسة وعشرين جنيها في الشهر ، فسوف يتواكل ويكسل ، بل ربما يرفض العمل اعتمادا على مرتبك .. انه رجل كسول كما تعلم ، يحب الجوع والراحة ، ولولا نخسي له يوما بعد يوم لكان حالنا اليوم غير هذا الحال ، ولما امكنك ان تتم دراستك ..

وصمتت المرأة برهة ريثما تسترد انفاسها ، ثم استطردت تقول :

- انظر ماذا فعل اليوم ..؟ انه يعرف انك ستقبض مرتبك هذه الليلة ولذلك لم يهتم بارسال بعض المال كالمعتاد ،

ومن يدري .. فلعله ساهر الآن في « البوظة » كما كان يفعل في شبابه .. ثم لا تنس أنك وعدتني بثوب حريري تشتريه لي من أول مرتب تقبضه ، وثلاثة ثياب لأخواتك، وقماش بدلة لاخيك خليل ، ولا بأس ان تدخر بعض مرتبك لتشرع في الزواج بعد ان يتوظف اخوك ، وسوف اختار لك بنفسي عروسا كالقمر من بيت كريم استطيع أن أعيش معها .. اما ذلك العجوز الفاني فما اظنه يصلح للحياة معنا ، سنتركه هنا مع حصانه اللعين .

وشعر ابراهيم انه يسقط في هاوية عميقة مظلمة ، وكأن كل كلمة يسمعها من زوجته سهم من النار يدمي قلبه ، ولكن ترى ماذا سيقول ابنه ؟ .. ابنه الأكبر ممدوح ، الذي سعد به يوم مولده وظل يرعاه ويعنى به يوما بعد يوم ، ويشعر بلذة الجوع ليوفر له الطعام ، ويحس متعة الحرمان ليقدم له السعادة .. هل سيلقي على هذه الزوجة الجحود درسا في الوفاء ..؟ هل .. آه .. ها هوذا يتحدث قائلا :

ـ اسمعي .. لا أنت ولا هو سينال من مرتبي شيئا .. يكفي أني صبرت على هذه الحياة القذرة كل هذه السنوات .. يكفي أني عشت الأربع سنوات الأخيرة ببذلة واحدة ، لقد آن لي أن اشعر بالحياة أن أرى الدنيا ، أن أستمتع بالطعام الطيب والمسكن النظيف ... والزوجة الجميلة ..

وبعد برهة صمت ، استطرد قائلا :

ـ ان الخدمة التي يمكن أن أؤديها لكم ، هي أن أرحل عنكم وأوفر عليكم المال الذي كنتم تنفقونه علي ..

وكأنما القى الشاب فكاهة تثير الضحك ، فاذا هو يضحك عاليا ، ثم يقول :

ـ سوف أرحل من الغد ، فقد استأجرت مع زميل لي شقة صغيرة « بالظاهر » .

ولم يستطع ابراهيم ان يسمع أكثر من هذا ، فقد شعر كأن كلمات ابنه هي السهام الأخيرة التي أجهزت عليه ، فتراجع عن النافذة ، وعاد مترنحا في طريقه الى المربط وقد اختلطت في ذهنه الذكريات، بحلوها ومرها ، واختلطت عند أقدامه الظلال بضوء القمر فاذا هي صور غامضة ، واذا نعيق بومة هناك يقطع السكون مع نباح كلب هنا ..

وعاد الرجل الى المربط ، وركع بجانب جواده ، وتمتم بأنفاسه الأخيرة قبل ان يسقط مغشيا عليه :

ـ كله عند الله يا بلبل .. ان الله لن ينسانا أبدا يا بلبل .

وفي عصر اليوم التالي ، كان المارة في شارع العباسية يشاهدون نعش رجل في طريقه الى مدافن باب النصر ، وكان وراء النعش عدد قليل من المشيعين ، ووراء هؤلاء جواد عجوز يسير في ضعف شديد وقد تعلقت عيناه بالنعش المحمول ..

ويقول بعض الذين شاهدوا هذا المنظر ، انهم لمحوا حبات من العرق تتساقط من جبين الجواد ، ويؤكد غيرهم انها كانت .. قطرات من دموع ..

بريد الوعي الإسلامي

خيانة امرأة نبي ..

قال تعالى في سورة التحريم : « **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** »
الآية ١٠

ونفهم من الآية الكريمة كما قال المفسرون : أن كفار مكة قالوا مستهزئين ـ أخزاهم الله ـ إن محمداً يشفع لنا .. فبين الله سبحانه أن شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تنفع كفّار مكة وإن كانوا أقرباء ، كما ان شفاعة نوح لا تنفع امرأته ، كذلك شفاعة لوط لا تفيد امرأته مع قربهما لكفرهما . وسوف يدخلان النار مع الداخلين .. حيث لا نسب يفيد .. ولكنه الايمان والعمل الصالح وفي ضوء هذا الفهم .. نقول : إن خيانة المرأتين ـ كما قال عكرمة والضحاك ـ هي الكفر .. ولم تكن خيانة زنى .. فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما : ما بغت امرأة نبي قط .

وعلى هذا نقول للأخ القارىء : **سامي عبداللطيف أحمد شاهين** ـ من مصر ـ : ان امرأة النبي لا تقع منها جريمة الزنى . وان المقصود من خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ، خيانتهما في الدين ، حيث كانتا كافرتين أو منافقتين ، فامرأة نوح كانت تقول للناس عنه : إنه مجنون . وكانت تفشي اسراره ، وامرأة لوط كانت تعلم قومها بأضيافه وذلك بأن توقد في بيتها نارا ، فيراها القوم فيحاولون إيذاء أضياف لوط .. ولكن أضيافه كانوا من الملائكة ، ولن يصلوا اليهم أبدا . وكانت عاقبة الكفر والنفاق والخيانة هي الجحيم نعوذ بالله من شرّها .

حول آية من كتاب الله

أرسل الينا الأخ/ أزهري أحمد محمد حسين ـ من السودان : يسأل عن معنى الآية الكريمة (**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .

المحرر : ان هذه الآية جاءت في أعقاب أوامر ووصايا الهية تدعو الناس الى :

● عدم الاشراك بالله سبحانه ، فهو الله الواحد الأحد .

● والاحسان الى الوالدين .

● وألا يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر فالرزق كفله الله لكل كائن حي .

● والبعد عن ارتكاب الفواحش وهي الكبائر الظاهر منها والباطن .

● وعدم قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق : قصاصا أو دفاعا عن النفس اذا لم يكن غير ذلك .

● والحفاظ على مال اليتيم ، فلا يتصرف وليه في ماله الا بالتي هي أحسن ، فلا تبذير ولا اسراف .

● والتعامل في أمانة .. فلا تطفيف في الكيل ، ولا اختلاس في الوزن .

● والحكم بالعدل بين الناس .. فلا يصرفنا شيء عن قول الحق من قرابة أو غيرها .

● والوفاء بالعهد .. فهو شيمة الصالحين .

بهذه الأخلاق الفاضلة أمرنا الله تعالى فيجب علينا أن نتخلق بها قدر استطاعتنا فاذا وقع منا ما ينافيها سارعنا بالتوبة الى الله ، وعدنا الى الطريق المستقيم الى الهدى والرشاد ، وهو طريق الاسلام ، دين الله الخالد ، وهذا هو الطريق الذي يجب أن نسلكه ولا نحيد عنه الى طرق أخرى ملتوية ، حتى لا تتفرق بنا السبل الى مذاهب مختلفة والى أديان باطلة .

وهكذا أوصانا الله باتباع الصراط المستقيم ، حيث الفضائل والمثل العليا ، والابتعاد عن المذاهب والأديان المختلفة التي تفرق الناس الى احزاب وشيع . لكل فرقة شيطانها الذي يزين لها طريق الغواية . وعلى الحق والخير قامت اسس الدين الاسلامي الخالد ، وبقيمه ومثله السامية ما زال ينتشر بين الناس ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

جزاء الخيانة

هكذا اختار الاستاذ محمود زيدان السفاريني هذا العنوان (جزاء الخيانة) عنوانا لأبيات شعرية لم ينسبها الى قائلها .. ونشرتها المجلة في عدد رجب رقم ٢١١ لسنة ١٤٠٢ هـ منسوبة للفاضل الاستاذ/ محمود زيدان السفاريني ..

وبعد النشر .. جاءتنا رسالة للقارىء محمد زيدان ـ من القاهرة ـ وقال : طالعتنا مجلتكم الغراء بقصيدة شعرية بديعة .. تحوز الاعجاب وتستوقف القارىء ولا شك ببراعة أسلوبها واكتمال عناصرها الفنية والجمالية مع عظيم هدفها ومعناها ، والأمر المدهش هو ما ذيلت به القصيدة من نسبتها للاستاذ/ محمود زيدان السفاريني .

ومضى يقول : والقصيدة واردة في الجزء الرابع من الشوقيات .. فهي للشاعر احمد شوقي وطلب الأخ القارىء من المجلة توضيح الالتباس

وحول نفس الموضوع كتب الدكتور/ رفيق محمد الشيخ ـ من الأردن ـ وكان مما قال : والقصيدة لشوقي رحمه الله ـ الشوقيات الجزء الرابع ـ وقال : انني اذ أنبه الى ذلك لأقول متسائلا ومتأذيا : لم كان هذا ؟

هذا وبالرجوع الى ديوان شوقي ـ الجزء الرابع ـ وجدنا نص القصيدة تحت عنوان : (سليمان عليه السلام والحمامة) . نقول هذا .. وننتظر من الاستاذ محمود زيدان السفاريني ردا أو تعليقا .



الاسلام كفيل بالسعادة في الحياتين

للأستاذ: الشريف مأمون ابو الوفا

الاسلام دين الفطرة ودليل السعادة ونهج السلامة واقوم طريق للوصول الى باب النجاة في كلتا الحياتين !
فمن تأدب بادابه العالية فقد ارتدى حلل السعادة الحقيقية ومن نقب عن أسراره وعمل بما علم منها فقد تتوج بتاج الشرف والعزة وتسربل بحلل التجلة والكمال ونسج الوقار عليه سربالا سابغا ، ورفرف على هامته علم الهناءة والسعادة وانقشعت عن قلبه غيوم الاوهام والحيرة وصفا له جو العقيدة الثابتة فامتطى متن الطمأنينة وسار في طريق الصراط آمنا معتمدا على هذا النجم الذي لا يضل به سار اتخذه هاديا في مسراه ولا يحيد عن جادة الصواب من اهتدى به في كل مكان وكل زمان .

فليس من العجب ان نسمع من حين الى حين ومن وقت الى آخر أن فردا من الافراد قد لاح له ضوء هذا الدين الحنيف فاهتدى بهديه ، او ان اسرة من الاسر قد بدا لها بارق الشريعة الغراء فاقتبسوا من نورها قبسا يستضيئون به بقية عمرهم في الدنيا ويسعى بين ايديهم في الآخرة بعد ان ضاعوا شرخ شبابهم في ظلام جهالتهم الحالك او ان جماعة من الجماعات قد سطعت على أبراج مباني قلوبهم انوار شموس أسرار الدين المحمدي فمزقوا حجب غيرهم وهتكوا أسرار ضلالتهم وخلعوا ثياب كفرهم ، وارتدوا حلل الدين فقد اختاره المولى ليسعد به اتباعه ويقرب به أنصاره ولم يقبل غيره من بين سائر الأديان وأخبر (جل شأنه) ان ابتغاء غيره ضلال وهذيان وخيبة وخسران فقال تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » كما قال عز وجل « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة

من الخاسرين » أجل ، انهم يتذوقون حلاوة شهده ورشفوا شيئا من رحيق عجائبه فاصطبغوا بصبغته وتحلوا بجميل آدابه وانكبوا على فهم أسراره . ليس بغريب ولا عجيب فان هؤلاء واولئك قد أصابوا باسلامهم كبد الحقيقة وخرجوا بايمانهم من ظلمات الجهالة الدامسة الى نور العلم المتلألىء واهتدوا الى طريق سليم مستقيم ، وما ذاك الا لأن الله تعالى قد اراد بهم خيرا فحفهم بعين عنايته وحفظهم بلطف رعايته وشملهم بعطفه ورحمته فانتشلتهم العناية الالهية من أسفل دركات المهانة والذلة ورفعتهم العناية والرعاية الربانية الى مستوى درجات القرب والعزة وخلع المولى العظيم عليهم خلع الاصطفاء وأفاض عليهم مزن الاختبار فتطهرت قلوبهم وصفت نفوسهم وغسلوا أدران الكفر بكوثر الشريعة الغراء الوضاء وتراءوا للملأ الأعلى سافرين عن وجوه المباهاة .

وإذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

فلا غرابة ولا عجب لأولئك الألى ، رأوا الحق فابتغوه ، وشاهدوا الباطل فاجتنبوه وسمعوا داعي الرشاد فلبوا نداءه ، ولكن العجب كل العجب لمن يطرق سمعه « الاسلام » ولا يكون مسلما ، والغرابة كل الغرابة فيمن يعرف طرفا من آداب الملة الحنيفة ولا يكون مؤمنا ، والدهشة كل الدهشة لمن يسمع

ما يتلى من آيات الذكر الحكيم ولم تنفتح له عيون فؤاده فيخشع لهيبته ويخضع لعظمته والحق سبحانه يقول « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وكما قال « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » فليت شعري ! ما الذي يصدهم عن الاسلام وتعاليمه ؟؟

وما الذي يحول بينهم وبين الايمان بآدابه ؟؟

ايصدهم عنه ان القانون السماوي الذي حكم فعدل : وقضى فأنصف ، فأمن الخائف ، وقوى الضعيف ، وساوى بين الرفيع والوضيع ، ونزع ربقة الاستعباد من أعناق المستضعفين ، وجعل النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف ، والسن بالسن والجروح قصاصا .

ما الذي يبعدهم عن التمسك بعروته الوثقى التي لا يطرق بابها انفصام ؟ وما الذي حدا بهم ان يجاهروا أهله بالعدوان

ويبيتوا لهم أسوأ النوايا ؟ أيجاهرون ببغض الاسلام وأهله لأنه يدعوهم الى ما فيه سعادتهم ويجعل بينهم وبين الشقاء سدا منيعا ، ام لأنه يحضهم على ترك معتقداتهم التي تجوس خلال نفوسهم حائرة لا تجد لها مأوى فتسكن معها هواجس الشكوك

والظنون ولا تستقر في طية من طيات صدورهم فتستقر معها تلك العقائد المضطربة وتطمئن معها ضمائرهم المتعبة .

ايظهرون على الاسلام وتشمخ عليه انوفهم (كلا) وقد كانوا بالأمس اذلاء لأنه هو الذي رفع رؤوسهم وأمنهم في ديارهم ووقاهم من ظلم المستبدين وغطرسة المستعبدين ؟

أيشهرون عليه سيوف البغضاء لانه فند بحججه الدامغة تعدد الالهة وطالب كل عاقل بتوحيد الواحد الاحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؟

أيحاولون الانتصار على الاسلام (كلا) لأنه دين الفطرة والسعادة ودين العفو والكرم والسماحة ودين اليسر والسهولة ، ودين الشهامة والمروءة ، لا دين النذالة والدناءة ، دين الترفع والفضيلة ، لا دين الانحطاط والرذيلة ، دين الرفق بالضعفاء من البشر والحيوان لا دين الغلظة والفظاظة ، دين الديمقراطية التي ينشدونها ويتغنون باسمها لا دين الاوتقراطية التي ينفرون منها ويحاربونها .

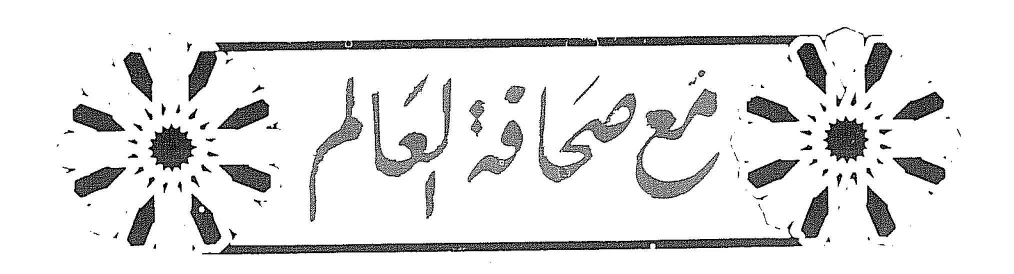
اليس عمر الاكرم وخليفة رسوله الاعظم القائل على رؤوس الاشهاد من اكابر اصحابه « من رأى منكم في اعوجاجا فليقومني » اما علموا ان الاسلام هو الذي حرر العقول من ربقة الخيال والاوهام واطلق لها عنان البحث والتوفيق لترتفع في رياض اليقين الزاهرة وترفل في حلل التمكن في اطهر العقائد لتظفر بالعز الدائم والنعيم المقيم . اجل : هو الذي فصل بالحق الواضح في كل امر اختلف فيه ابناء البشر في دينهم ودنياهم فوضح السبيل امامهم وظهر الدليل ناصعا في اعينهم ، فمن لحظته العناية سلك سبيل الهداية ومن سبق عليه القضاء هوى في مهاوى الضلال والغواية ، هو المرجع الوحيد الذي يرجع اليه كل مكابر متعنت فيفحم بحججه الدامغة وبراهينه القاطعة وادلته الناصعة ، هو الملاذ الذي يلجأ اليه كل حائر في عقيدته فيرفرف العدل على قلبه ويتسرب الاطمئنان الى نفسه فيعود متسربلا سربال راحته وهناءته .

بيان حول الغزو الاسرائيلي للبنان

جاء من رابطة العالم الاسلامي « مكتب عمان » ـ الأردن هذا البيان ننشره بنصه :

لا يستهدف العدوان الاسرائيلي الغاشم الفلسطينيين واللبنانيين وحدهم في لبنان انما يستهدف العرب والمسلمين في جميع ديارهم ، واسرائيل نفسها اراد لها صناعها ومؤسسوها منذ ان كانت الفكرة طيفا يجول في خواطر الزعماء السياسيين والدينيين اليهود والساسة من زعماء الغرب الذين كانوا يؤمنون بفكرة الصهيونية ، حتى ان بعض المفكرين الغربيين كان اكثر حماسا لاقامة دولة اسرائيل من الاسرائيليين انفسهم لتكون رأس حربة وجسر ومنطلق عدوان وشر ضد الامة العربية والاسلامية ، ولذلك ارادوا لها ان تقام على اسس دينية وحضارية تستمد وجودها من التاريخ القديم وحضارتها وايديولوجيتها من الحضارة الغربية ، وتحددت نظرتها منذ البداية على اساس الصراع التاريخي الحضاري العقائدي ، بين الاسلام كدين جاء ومعه حضارته وله ايديولوجيته السياسية الخاصة به وبين الحضارة الغربية المسيحية التي تستمد جذورها من التوراة والعهد القديم ، وقد استغلت الصهيونية تاريخ الصراع الذي كان قائما بين الحضارة الاسلامية والغربية مرورا بالحروب الصليبية الى نهاية العهد العثماني ، واستطاعت ان تستقطب القوى الغربية وتسخرها لاقامة كيانها العدواني ، وقامت اخيرا بجهود مكثفة في مراكز القوى الغربية لدمج الاهداف الاسرائيلية بالاهداف الغربية عقائديا وسياسيا وحضاريا دمجا كاملا ، فجاء عدوانها الاخير على لبنان متوجا لهذه الجهود ومجددا لهذه الاهداف ، وما نسمعه عن المجازر البشرية التي يرتكبها الصهاينة وقوات سعد حداد وغيرهم من المتعاونين مع الصهيونية لم يكن تخطيطه وليد الساعة ولم يأت عفوا ، فكان بمثابة انذار للعرب جميعا وللمسلمين عامة لينتبهوا للخطر الجسيم الذي يتهدد اصولهم وبلادهم وحضارتهم وليكفوا عن الفرقة والخلاف وليعلموا ان اعداءهم انما يقاتلونهم وهم مجتمعون متساندون ومن منطلق ايديولوجية محددة والعرب يسيرون في تيه ويلهثون وراء سراب الايديولوجيات الغربية التي وضعها لهم اعداؤهم ، والعدوان الصهيوني المدعوم بأسلحة الغرب وتأييده يسحق الشعبين الفلسطيني واللبناني معا ، ومنعوا عنهم ابسط حقوق الانسان فمنعوا عنهم الغذاء والماء والدواء ، والضمير العالمي والمنظمات الدولية الانسانية منعت من تقديم اية مساعدات فيالها من كارثة ما افظعها ويالها من نكبة تفتت الاكباد وتلين الصخر الجماد .

فهل للعرب والمسلمين ان يهبوا وينفضوا عنهم غبار النوم والاستسلام والسير وراء الاحلام ، وما اصدق قولة علي رضي الله عنه « اكلت يوم اكل الثور الأبيض » وطريق العودة الى الله والى الاسلام هي الطريق التي توصلنا الى شاطىء السلام وبر النجاة ولا طريق غيرها ونجدة اخواننا في لبنان من الفلسطينيين واللبنانيين حق وواجب . والله اصدق القائلين « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه « والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . صدق الله العظيم .



التدين يكسب أنصارا وسوق الالحاد راكدة

لقاء مع وزير الاوقاف والشئون الاسلامية

حول التدين والالحاد والدعوة الاسلامية ورسالة المسجد دار هذا الحوار الذي أجراه مندوب جريدة الأنباء الكويتية .. ننقله لقارىء « الوعي الاسلامي » تعميما لفائدته .. قال : الاستاذ احمد الجاسر وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

— من مسؤوليات الوزارة الاساسية العمل على التوعية الاسلامية ونشر الدعوة الاسلامية في الداخل والخارج ولا شك ان مهمة تعميق تعاليم الدين في نفوس الشباب مسؤولية مشتركة بين المؤسسات الحكومية والاهلية ، فهي جزء اساسي من مهمة بناء المواطن الصالح المنتمي لامته ودينه والمؤمن بربه والمستقيم على الخلق والسلوك السوي ، ولا شك ان مسؤولية الوزارة بالذات متميزة بهذا الخصوص ولديها الفرصة الكبيرة لمارسة هذا الدور من خلال المساجد المنتشرة في مختلف الاحياء السكنية سواء عن طريق خطب الجمعة والتأثير بواسطتها على جموع الشباب أو عن طريق اقامة الفروض الخمسة التي يقبل عليها العدد الكبير من الشباب ، فهناك فرصة كبيرة لائمة المساجد ليمارسوا الدور المؤثر في توجيه الشباب من خلال الصلاة والاحاديث والتوعية الدينية بعد اقامة الصلوات ، كما ان على الوزارة مسؤولية ايصال الكلمة الطيبة من خلال اجهزة الاعلام المختلفة وهناك برامج تنسق مع الاذاعة والتلفزيون واحيانا مع الصحافة ونأمل في المستقبل ان تتوسع نشاطات الوزارة في هذا المجال وأسأل الوزير :

● وزارة الاوقاف .. كيف تخطط دورها في التعليم الديني بالمدرسة والجامعة . ولماذا يخسر التعليم الديني في البرامج الدراسية بالجامعة ؟ قال :

— لا شك ان العملية التعليمية من مسؤوليات وزارة التربية وجامعة الكويت . فان هاتين الجهتين هما اللتان تتوليان مسؤولية التعليم في مختلف أنواعه بما فيه التعليم الديني ووزارة الاوقاف تضع امكاناتها

وطاقاتها دائما في خدمة وزارة التربية وجامعة الكويت لتساهم في بناء محتويات المفاهيم الدينية ، وحتى الان فان وزارة الاوقاف تشترك في مجلس ادارة المعهد الديني كما تدعي احيانا للمشاركة في عضوية لجان المفاهيم الدينية ، ونأمل في المستقبل ان يتوسع التعاون مع وزارة التربية والجامعة لتطوير التعليم الديني وتقديم مواد الثقافة الاسلامية لمختلف التخصصات الجامعية .

وأسأل الوزير :

● وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، كيف تتعامل مع اجهزة الاعلام الاسلامية والعربية والخليجية ؟ اجاب الوزير :

ــ للوزارة علاقات واسعة مع الكثير من المؤسسات والمراكز الاسلامية في الكويت او في العالم العربي او في العالم الاسلامي او بقية اجزاء العالم وهي على صلة دائما مع هذه المراكز والمؤسسات اما في شكل زيارات متبادلة لوفود او مراسلات حول النشاطات الاسلامية لهذه المؤسسات والمراكز ، الا انه من المؤسف ان التغطية الاعلامية لهذه النشاطات قاصرة الى حد كبير وليست هناك مبادرات تذكر من المؤسسات الاعلامية للاتصال والتعرف على هذه النشاطات واعتقد انه من واجب الوزارة ان تبادر من جهتها بمد جذور الاتصال لهذه المؤسسات الاعلامية العربية والاسلامية والعالمية لاهمية اجهزة الاعلام ودورها الكبير والمؤثر في مختلف النشاطات .

رسالة المسجد

● وزارة الاوقاف .. كيف تفهم رسالة المسجد ؟

ــ لا شك ان رسالة المسجد معروفة تاريخيا وحضاريا وليس لدى الوزارة فهم مختلف عن هذا الفهم الذي امتد عبر التاريخ الاسلامي ومنذ بدء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا كان هناك قصور في مباشرة المساجد لدورها التاريخي في الوقت الحاضر فهي مسؤولية مشتركة بين جميع القائمين على الشؤون الدينية وشؤون المساجد ، ولا شك ان الكثير مما كان يقوم به المسجد اصبحت تتولاه مؤسسات خاصة لم تكن معروفة في العصور السابقة ولكن هذا لا يمنع من ان يستمر المسجد في القيام بدوره كملتقى للمصلين ومدرسة لطلاب العلم ، وهذا يحتاج الى قيادات مثقفة وواعية لدورها ولمسؤولياتها في كل مسجد ، والوزارة تعمل جاهدة على توفير هذه القيادات للمساجد لكي تستطيع ان تستقطب المواطنين وتشدهم الى المسجد في مختلف الاوقات والظروف .

● لكي نجتذب الشباب ، علينا ان نعيد المساجد في حياتنا مراكز عصرية لحياتهم ، في داخلها قاعات للمحاضرات والعرض السينمائي لافلام علمية وانسانية ومكتبات تثير الشوق الى الاطلاع ، هذا الكلام لاحد كبار الدين ، ونسأل لماذا تغلق مساجد الكويت بعد صلاة العشاء ، لماذا لا تتحول الى مراكز لتعزيز مسيرة

الدعوة بين الناس عامة والشباب خاصة ؟ أجاب الوزير :

ــ ان الوزارة تدرس مشروعا حول ذلك ، وعندما تتوفر القيادات الدينية الواعية سنتمكن من تنفيذ افكار الوزارة حول دور المسجد الشامل في التربية والتوعية .

عودة الى الدين

● الالحاد يتفشى وسوق الاديان يجنح في بعض الدول الى الركود وخاصة في محيط الشباب ، ما هو التخطيط العقائدي لاذكاء روح التدين في النفوس الصدئة ؟ اجاب الوزير :

ــ انا لا اوافق على هذا الكلام وذلك لاننا جميعا نلمس موجة التدين ليس في العالم العربي فقط ولا في العالم الاسلامي فقط ولكن في العالم اجمع ، ففي الوقت الذي تشهد فيه الدول الاسلامية عودة الكثير من شبابها الى الدين والالتزام باوامره مما اصبح يميز هذه الفترة في الوقت الذي كان التميز فيه لكبار السن ، وحتى في الديانات الاخرى فان موجة العودة الى التدين ظاهرة ملموسة ، كما ان هناك محاولات من فئات من الشباب لابتداع اديان جديدة وتدعم هذه المحاولات الهيئات الالحادية التي تريد لها ان تؤثر على الديانة الصحيحة واعتقد ان ما يتميز به العصر ليس انتشار الالحاد بقدر ما هو التمايز بين فئات المجتمعات او بين فئات الشباب الذين يريدون ان يتقيدوا بالدين ويلتزموا باوامره ونواهيه بشكل جاد ودقيق وبين فئة الشباب الذين يطلقون لانفسهم حرية التصرف بعيدا عن الالتزام الديني ، هذا التمايز الذي اصبح يدخل حتى في افراد الاسرة الواحدة في مختلف المجتمعات ويقسم هذه الاسرة الى فئتين لا ترتضيان اسلوب التعايش مثل ما كانت ترتضيه الفئات المتدينة وغير المتدينة في اوقات سابقة ، واعتقد انها بدايةموجة من الصراع العالمي بين الخير والشر وبين الايمان والكفر ، سوف تتصدر حلبة الصراعات المختلفة في السنوات القادمة .

والتقط الخيط حول الصراع بين الخير والشر وأسأل :

● الصراع بين الخير والشر موجود منذ الأزل لاستمرار الحياة ، لا احد ينكر ذلك ، ولكن الملاحظ في هذا العصر ان الصراع بلغ قمة العنف وان البشرية تتعذب اكثر مما كانت تتعذب من قبل .. لماذا ؟

التحدي الكبير

قال وزير الاوقاف :

ــ لا شك ان الصراع بين الخير والشر موجود منذ بدء البشرية والى ان تقوم الساعة ، ولا يزعم احد ان بامكانه القضاء على جميع الشرور في الدنيا ، وهذا هو التحدي الكبير والدائم لكل نفس بشرية منذ انزل الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام من جنات النعيم ومنذ قتل قابيل هابيل ، وسوف يستمر الصراع بين الخير والشر الى ان تقوم الساعة ، ولقد من الله سبحانه وتعالى على البشرية برسالاته

السماوية وختمها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون بشيرا ونذيرا لجميع ابناء البشرية ممن تبلغهم الدعوة الى ان تقوم الساعة ، وفي كل زمان وفي كل حين كان امل الفرد ان يعيش حياة الخير في الدنيا ليكسب النعيم المقيم في الاخرة ، ولكن الفرص المتاحة للاخيار والاشرار تستغل استغلالا غير متكافىء لذلك نجد الشر ينتشر ويطغى على مر الزمان الى جانب ان الظروف المأساوية التي يعيشها الكثير من اصحاب النزعة الخيرة تجعل الباب مفتوحا لهذا الصنف من الناس ليتحولوا تحت وطأة ظروفهم المعيشية والنفسية الى عناصر شريرة وهذا الكلام ينطبق على الدول والجماعات كما ينطبق على الافراد ، ولكن لا يجب ان يتشاءم الانسان ، فالخير باق الى قيام الساعة

الدعوة

ـ الحقيقة اننا بحاجة ماسة الى الدعوة في المجالين الخارجي والداخلي فالدعوة داخل دار الاسلام اكثر الان اهمية واصبحت الحاجة اليها اشد ، ونجاح الدعوة الخارجية مرهون اصلا بنجاح الدعوة الداخلية حيث تستطيع ان تقنع غير المسلمين بفضائل الاسلام وخصائصه التقدمية

● وهذه الدعوة ، كيف نخطط لها ؟

قال :بتهيئة المناخ الصالح لكل اسرة تفهم ببساطة وتعيش باخلاص تعاليم الاسلام واخلاقه واهدافه ومن ثم تبدأ المسؤولية من الاباء والامهات فكلنا كما يقول الرسول الكريم راع وكلنا مسؤول عن رعيته ، فهؤلاء الآباء والامهات يجب ان يكونوا مسؤولين . وقدوة في نفس الوقت ـ عن ابنائهم في كل ما يقولون ويفعلون داخل البيت وخارجه .

العالم والايمان

● والعالم يشهد تقدما علميا مذهلا وبعض رجال الدين واساتذة الجامعة يطالبون بضرورة اعادة النظر في كثير من الاشياء التي تقال للناس باسم الدين ، بعد ان تفتق العقل البشري الى معجزات علمية ، وأسأل الوزير :

● الايمان عمق واصالة ، فهل يزداد ايمان الانسان بازدياد علمه وثقافته ؟

ويجيب الوزير :

ـ « انما يخشى الله من عباده العلماء » ودعوة الاسلام الى طلب العلم والتفكير في آيات الله وخلقه دعوة متكررة ومترددة في سور القرآن الكريم وكلها ترسم الطريق الى الايمان بالله سبحانه وتعالى ، ولا شك ان الاسلام الحنيفي دين الفطرة وان بامكان الانسان مهما كان مستواه الثقافي وبحكم فطرته التي فطره الله عليها ان يدرك حقيقة الايمان وان يؤمن برب هذا الكون وبرسالته التي بعث بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكما قال الاعرابي قديما ـ فان البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير ـ ولكن كلما زادت ثقافة الانسان وعلمه واطلاعه فان فرص الوصول الى حقيقة الايمان تكون متاحة له بشكل اكبر ، ولذلك فان المستقبل كما اعتقد هو لهذا الدين العظيم .

استقرئوا الاندلس

قلنا لهم توبوا ولا تتفرقوا فتفرقوا
قلنا اصدقوا وكأنما قلنا لهم لا تصدقوا
قلنا اقلعوا عن غيكم فاستهتروا وتعمقوا .
قوم أبت اخلاقهم ان يستحوا او يتقوا .
خلقوا لكيد بلادهم يا ليتهم لم يخلقوا .
باعوا الضمائر والعقائد والشعور وأملقوا

اخي القارىء
مما يروض الجوانح بالحزن ويقلق الضمائر الحية بالألم تفرق العرب وكراهيتهم لبعضهم البعض وانتحارهم وهم لا يدرون ، الاخطار تحيط ببلادهم ، ولكن شاء الحظ التعيس للشعوب العربية ان تبتلي ببعض الحكام وكأنهم دسيسة عليها . يتحدثون باسمها وهي المغلوبة المنكوبة بهم. هي تريدهم ان يستلهموا تعاليم الدين الحنيف ، يعتصمون جميعا بحبل الله فلا فراق ولا شقاق ولكن (الطموح الشخصي) و (الزعامة الزائفة) و (خداع النفس) . هذا ما يجعل الواحد منهم لا يفكر الا في نفسه . وليته استلهم تاريخ الاندلس حين عصفت الاهواء برؤوس الزعامات الهشة فكانت المصيبة عليهم جميعا :

مما يزهدني في ارض اندلس
اسماء معتصم منها ومعتضد

القاب مرة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

نتلفت نحن المواطنين العرب فنجد ان شعوب اوروبا رغم اختلاف الجذور واللسان وحدة واحدة لهم برلمانهم وارتفعوا عن الصغار وها هم يتقدمون ويضعون لمشاكلهم الحلول التي يرونها ونحن نعبد ربا واحدا ونتجه الى قبلة واحدة صفا صفا واكتافنا كتفا كتفا ، اشارة الى وحدة الهدف وسعي المؤمنين ومع ذلك كأننا نحتفظ بالخنجر ونحن في الصلاة .

لا نيأس ابدا فعودوا الى كتابكم واستقرئوا تاريخ الصدر الأول فستجدوا المخرج من كل ازمة والطريق الى الصدارة ان كنتم فاعلين .

عن جريدة الشرق الأوسط



تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد